Alois Musil

آل سعود

دراسة في تاريخ الدولة السعودية



ترجمه عن الألمانية وعلق عليه

د. سعيد بن فايز السعيد

الدار العربية للموسوعات

آل سعود

دراسة في تاريخ الدولة السعودية

ⓒ سعيد فايز السعيد، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسيل، ألويس

آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية/ ألويس موسيل؛ سعيد فايز السعيد - الرياض، ١٤٢٤هـ

١٩٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩ - ١١٦ - ١٠ - ٩٩٦٠

١ - السعودية - تاريخ أ. السعيد، سعيد فايز (مترجم) ب. العنوان:

ديوي ١، ٩٥٣   ١٤٢٤/١٨٠٧

رقم الإيداع: ١٤٢٤/١٨٠٧

ردمك: ٩ - ١١٦ - ١٠ - ٩٩٦٠

صور الكتاب مأخوذة من كتاب: عبد العزيز منشورات مؤسسة التراث - دارة الملك عبد العزيز: المملكة في عيون أوائل المصورين - منشورات مؤسسة التراث.

آل سعود

دراسة في تاريخ الدولة السعودية

تأليف
ألويس موسيل

ترجمه عن الألمانية وعلق عليه
د. سعيد بن فايز إبراهيم السعيد

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

الحازمية - هاتف: 009615 /952594 - فاكس: 009615 /459982
ص.ب: 511 - هاتف نقال: 009613 /388363 - 009613 /525066
بيروت - لبنان البريد الإلكتروني: E mail:arab-enc-house@lynx.net.lb


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

حظيتُ سنة ١٤١٨هـ بالعمل ضمن الفريق العلمي لمشروع المسح الميداني لطريق الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - ورصد جهوده لاسترداد الرياض، الذي قامت بإعداده وتنفيذه دارة الملك عبدالعزيز وبإشراف مباشر من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، وظهرت نتائجه في كتاب بعنوان «الطريق إلى الرياض، دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ/١٩٠١-١٩٠٢م»، وصدر في سنة ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) عن دارة الملك عبدالعزيز بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. وخلال الأعمال التحضيرية للمشروع جرى رصد المصادر والمراجع العلمية العربية والأجنبية ذات العلاقة بتاريخ الدولة السعودية بأطوارها الثلاثة، من أجل الاستفادة من معطياتها التاريخية في تحديد معالم طريق الملك عبدالعزيز من الكويت إلى الرياض، وتوظيف مضامينها في الوقوف على أحداث تلك الفترة السياسية والعسكرية. وفي تلك الأثناء قرأت في أحد المراجع الأجنبية عن بحث من تأليف الرحالة والمستشرق النمساوي البروفيسور ألويس موسيل عن تاريخ الدولة السعودية، نشره عام ١٩١٧م في المجلة النمساوية الشهرية للدراسات الشرقية. وفي حينه حاولت الحصول على البحث في مكتباتنا الوطنية، ولكني لم أجده. وفي سنة ١٤١٩هـ كَلَّفتني دارة الملك عبدالعزيز بالسفر إلى بلجيكا لجلب بعض الوثائق التاريخية عن المملكة العربية السعودية، ولإجراء حوار تلفزيوني مع الرحالة والمستشرق البلجيكي جاك ريكمانز الذي تشرف في عام ١٩٥٢م

بمقابلة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -، وتمكن آنذاك بموافقة سامية من جلالته القيام (بصحبه فيلبي، وكنزالك ريكمانز، وليبنز) بأول بعثة أثرية أجنبية رسمية في المملكة العربية السعودية[1]. وهناك في جامعة لوفان الجديدة، حيث يعمل البروفيسور جاك ريكمانز أستاذًا للدراسات العربية، تمكنت من زيارة مكتبة الجامعة وحصلت من أحد أقسامها الخاصة على نسخة مصورة لنص بحث ألويس موسيل عن الدولة السعودية.

وعندما عدت إلى الرياض شرعت في قراءته باهتمام كبير فوجدته عملاً علميًا يتحدث بإيجاز يتسم بالموضوعية عن تاريخ الدولة السعودية بمختلف مراحل تكوينها حتى سنة ١٩١٧م، فقد سلّط المؤلف الضوء على الأحداث التاريخية التي شهدتها الدولة السعودية الأولى والثانية، وتحدث عن جهود الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في استرداد الرياض، وأبرز جزءًا من مسيرة كفاحه في توحيد البلاد حتى سنة نشر البحث في عام ١٩١٧م.

ونظرًا لأهمية البحث الزمانية والمكانية ومعاصرة كاتبه جزءًا من تاريخ الدولة السعودية الثانية، ومعايشته أحداث تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وجدت أن هذا العمل جدير بالترجمة إلى اللغة العربية، وخصوصًا أن مؤلفه ممن يتصفون بجدية علمية وتجرد موضوعي تجاه القضايا العربية، إضافة إلى أن الأعمال العلمية المكتوبة باللغة الألمانية عن تاريخ البلاد السعودية بأطوارها

---

(١) انظر نتائج الرحلة عند: ليبنز، رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية.

الثلاثة نادرة جدًا في المكتبة العربية، وعلى الرغم من وجود مسوغات كافية للعناية بها، إلا أنها لم تلق - بسبب الحاجز اللغوي - اهتمامًا من الباحثين المعاصرين يتوافق وأهميتها العلمية لدراسة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث.

لقد قسمت العمل إلى قسمين الأول ترجمت فيه لألويس موسيل نفسه، وجمعت ما أمكن جمعه عن سيرة حياته العلمية والعملية، ثم عرَّفت، بموضوع البحث، وألقيت الضوء على منهجه ومصادره، وختمت القسم الأول بتعريف المنهج المتبع في ترجمة البحث إلى اللغة العربية، أما القسم الثاني فقد خصص لترجمة نص البحث من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية، والتعليق عليه.

وفي الختام أتوجه بالشكر والتقدير إلى الصديق عبد الله بن محمد المنيف، مدير إدارة المخطوطات والنوادر بمكتبة الملك فهد الوطنية، على قراءته نص الترجمة العربية وملاحظاته القيمة عليها، والله الموفق.

د. سعيد بن فايز السعيد
جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب
قسم الآثار والمتاحف
E.Mail: sfsaid@yahoo.com

الثلاثة نادرة جدًا في المكتبة العربية، وعلى الرغم من وجود مسوغات كافية للعناية بها، إلا أنها لم تلق - بسبب الحاجز اللغوي - اهتمامًا من الباحثين المعاصرين يتوافق وأهميتها العلمية لدراسة تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث.

لقد قسمت العمل إلى قسمين الأول ترجمت فيه لألويس موسيل نفسه، وجمعت ما أمكن جمعه عن سيرة حياته العلمية والعملية، ثم عرَّفت، بموضوع البحث، وألقيت الضوء على منهجه ومصادره، وختمت القسم الأول بتعريف المنهج المتبع في ترجمة البحث إلى اللغة العربية، أما القسم الثاني فقد خصص لترجمة نص البحث من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية، والتعليق عليه.

وفي الختام أتوجه بالشكر والتقدير إلى الصديق عبد الله بن محمد المنيف، مدير إدارة المخطوطات والنوادر بمكتبة الملك فهد الوطنية، على قراءته نص الترجمة العربية وملاحظاته القيمة عليها، والله الموفق.

د. سعيد بن فايز السعيد
جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب
قسم الآثار والمتاحف
E.Mail: sfsaid@yahoo.com

ترجمة ألويس موسيل (١)

ألويس موسيل (موسى بن نمسا)(٢) أستاذ جامعي وأحد مشاهير الرحالة الأوربيين الذين قدموا إلى الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ولد ألويس موسيل في ٣٠ يونيو عام ١٨٦٨م في رشترزدورف (ريشتاروف، في جمهورية تشيكوسلوفاكيا السابقة، جمهورية التشيك حاليًا)، وهو يتحدَّر من أسرة تعمل في الزراعة، وله أربعة إخوة من بينهم أخوة الأصغر روبرت موسيل الأديب والروائي النمساوي المعروف.

بعد أن اجتاز موسيل اختبار الثانوية العامة في عام ١٨٨٧م توجه إلى دراسة علم اللاهوت في جامعة أولمتز(٣)، وتخصص في دراسة العهد القديم، وبدأ على الفور بتعلم اللغة العبرية، وتمكن بعد فترة وجيزة من الكتابة بها.

---

(١) اعتمدت في كتابتي سيرة ألويس موسيل العلمية والعملية على عدد من المصادر، وفي مقدمتها كُتب موسيل ومقالاته، وكذلك على،

Bauer, Alois Musil, Warheitssucher in der Wüste; Dostal, Austria and the Exploraton of Arabian Peninsual; Pfullmann, Durch Wüste und Steppe, p. 305-306.

فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص ٢٨١-٢٨٦؛ موسيل، أخلاق الرولة وعاداتهم؛ البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٢٧١-٢٧٥.

(٢) موسى بن نمسا : اسم مستعار أطلقه موسيل على نفسه خلال ترحاله في شمال الجزيرة العربية.

(٣) مدينة تشيكية تقع على نهر المارش.



ألويس موسيل

وهكذا بدأ ألويس موسيل أول اتصال له مع الشرق، بل كان ذلك هو المسوغ الرئيس في توجيه اهتماماته خلال مراحل حياته اللاحقة لاستكشاف مواضع العهد القديم في فلسطين.

حصل ألويس موسيل في عام ١٨٩٥م على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها، وفي هذه الأثناء تقدم إلى إدارة التعليم النمساوية بطلب إجازة تفرُّغ لمدة عامين، بحجة رغبته في السفر إلى القدس لدراسة اللغات الشرقية (العربية والعبرية) في المدرسة الدومينيكانية الفرنسية التي أنشئت قبل فترة وجيزة، وهكذا تمكن في خريف عام ١٨٩٥م من القيام بأولى رحلاته إلى الشرق ولم يتجاوز عمره - آنذاك - السابعة والعشرين عامًا.

ساهمت إقامة موسيل في القدس في تعميق معرفته باللغتين العربية والعبرية، وحفزته أيضًا على الشروع في تحقيق أحلامه منذ أن كان طالبًا في جامعة أولمتز لاستكشاف مناطق الشرق الأدنى، لذلك لم يتردد في المشاركة ببرنامج الرحلات القصير لمدرسة القدس الدومينيكانية الفرنسية في المنطقة، ولكنه سرعان ما لاحظ أن هذه الرحلات لا تناسب طموحاته الاستكشافية وأهدافه العلمية، وحيال ذلك يقول في مذكراته: «إن اهتماماتي تنصب في الوقت الحالي على دراسة الأحياء أكثر منها على دراسة الأموات، فالأمر بالنسبة لي في المقام الأول يتعلق بدراسة العادات والتقاليد وأساليب المعيشة والتفكير لبلدان الشرق الأدنى في وقتنا المعاصر»[1]. إضافة إلى ذلك فقد لاحظ موسيل بعد عودته في ١٨ مارس عام ١٨٨٦م من رحلة قصيرة ضمن فريق مدرسة الدومينيكان الفرنسية أن مثل هذه الرحلات الجماعية لا تحقق تطلعاته في التعرف إلى البلاد والعباد عن كثب. لقد كان يطمح آنذاك أن يكون وحيدًا في تلك البلاد

(١) Bauer, Alois Musil, p. 29.

ليمعن النظر ويتعلم، ويصدر أحكامه، ويطبق مناهجه الخاصة في الاستكشاف والدراسة.

وتحضيرًا لرحلته الجديدة انهمك موسيل في هذه الأثناء بدراسة تاريخ منطقة شرق الأردن وحضاراتها القديمة والحديثة، وسرعان ما توجه بمفرده لاستكشاف المنطقة الواقعة شرق البحر الميت، وأقام في مادبا(١) التي يقول عن إقامته فيها: «أقمت هناك عند أحد المزارعين، وتعمقت في تعلم اللغة العربية، وتعرفت إلى عاداته وتقاليده عن كثب، ودخلت في حياته الخاصة، وأصبحت أخًا له، وفيما بعد غادرته لأعيش بعض الوقت في مضارب البادية، وهناك كان التفاهم بيني وبينهم كما ينبغي، فلم أشعر قط بأنهم يعاملونني كأجنبي أو شخص مميز عنهم»(٢).

ثم توجه موسيل في رحلة استكشافية إلى منطقة الكرك والحمامات(٣) في الطرف الشرقي للبحر الميت، وكان يرغب في مواصلة رحلته عبر طريق الحج الشامي إلى قلعة الحسا، بيد أن أحد حراس القلاع العثمانية هناك، وهو من أصل جزائري أمضى بعض حياته جنديًا في باريس، نصحه بعدم المضي قدمًا نحو الأمام، بسبب تزايد خطر الهجوم عليه، فأخذ بنصيحته ثم قفل عائدًا إلى الكرك.

توجه موسيل في ٣١ أوغسطس عام ١٨٩٦م بصحبة دليله عبد ربه

(١) مدينة تقع على بعد ٣٣ كم جنوب غربي مدينة عمّان.
(٢) Bauer, Alois Musil, p. 31.
(٣) حمامات معين: منطقة شلالات تبعد حوالي ٤٠ كم غرب عمان.

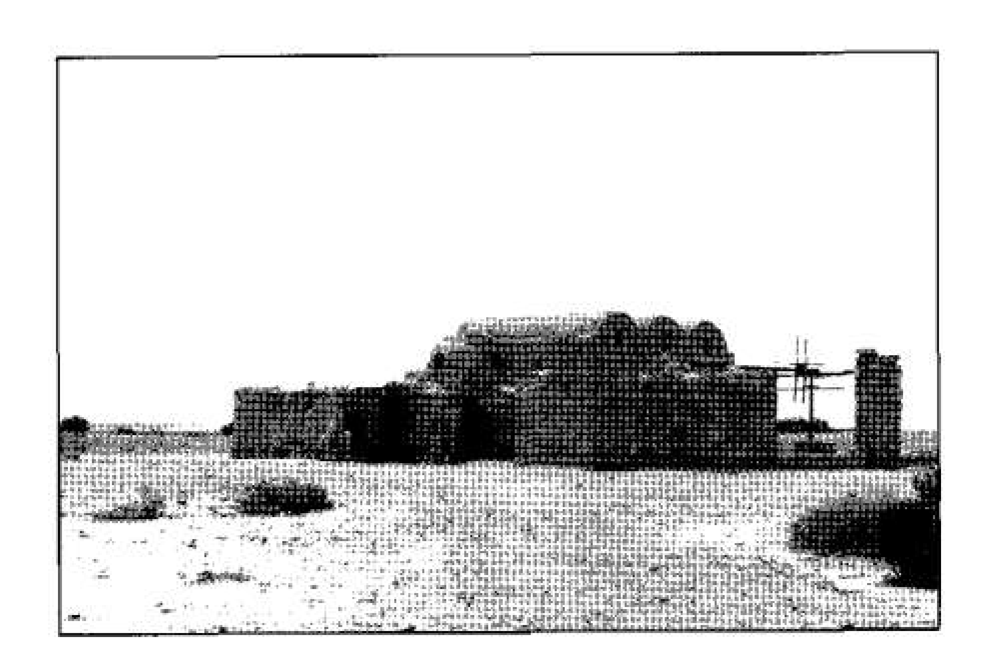
إلى البتراء، وهناك في حاضرة مملكة الأنباط[1] القديمة أمضى يومين متتاليين يستكشف أطلالها القديمة، ثم عاد إلى القدس من دون أن يكمل مشروعه لاستكشاف المنطقة الواقعة شرق البحر الميت. ولكنه بعد حصوله على منحة علمية من الأكاديمية البومية للعلوم، وإجازة تفرغ من عمله عاد في عام ١٨٩٧م بصحبة مهندس ألماني متخصص في رسم الخرائط الجغرافية يدعى رودولف ليندل إلى جنوب فلسطين، ومن هناك تحرك لمواصلة استكشافاته الجغرافية والأثرية من جديد في مناطق شرق البحر الميت، حيث تمكن من إعداد خريطة جغرافية لمنطقة مأدبا.

كان موسيل قد سمع في تلك الأثناء من سكان البادية هناك عن قصر (عمرة) الأثري، ورغبة منه في زيارته بعث رسولاً في شهر أغسطس من عام ١٨٩٧م إلى طلال بن فايز شيخ قبيلة بني صخر ليلتمس منه الإذن في زيارة القصر الذي كان - آنذاك - يقع في محيط مراعيه. وبينما كان موسيل برفقة أحد تجار المنطقة يسير عبر منطقة حوران في طريقه إلى استكشاف آثار مدينة تدمر، عاد إليه رسوله ليخبره بأن الزيارة المزمعة لقصر (عمرة) الأثري لن تتحقق خلال الأسابيع الأربعة المقبلة، بسبب تخييم أفراد قبيلة الرولة حول منطقة القصر. ونظرًا لأن موسيل لم يتبق لديه وقت كافٍ في هذه السنة، قرَّر أن يُمضي ما تبقى لديه من الوقت في

(١) نسبة إلى الأنباط، وهم قبائل عربية يعود أول ذكر لهم في المصادر التاريخية إلى عام ٣١٢ قبل الميلاد، وتمكنوا من تأسيس مملكة قوية استمرت قرابة ثلاثمائة عام (١٩٦ ق.م - ١٠٦م)، وقد امتد نفوذهم من البتراء عاصمة مملكتهم شمالاً حتى الحجر (مدائن صالح) جنوبًا، ومن صحراء سيناء غربًا حتى دومة الجندل شرقًا.

تدمر لاستنساخ نقوشها القديمة، ومنها عاد عبر جبال لبنان إلى بيروت.

انهمك موسيل بعد عودته إلى بلاده في العمل على خريطته الجغرافية التي تضمنت نتائج مسوحاته الجغرافية واستكشافاته في المنطقة خلال السنتين المنصرمتين (١٨٩٦-١٨٩٧م)، وعندما أكمل إعدادها في عام ١٨٩٨م فاجأ بها الجمعية الجغرافية الملكية النمساوية - المجرية في فيننّا. أما النقوش التدمرية التي استنسخها من مدينة تدمر الأثرية فقد فاجأ بها أيضًا المستشرق النمساوي ديفيد هاينرش مولر، أستاذ النقوش العربية القديمة في جامعة فيننّا، وعضو أكاديمية العلوم النمساوية.



قصر عمرة

كان لنشر موسيل نتائج أعماله الجغرافية وتقاريره العلمية عن استكشافاته في المنطقة العربية الأثرُ البالغ في الأوساط العلمية النمساوية آنذاك، الأمر الذي جعل المختصين يقدّرون موهبته العلمية، وخصوصًا البروفيسور ديفيد مولر، والبروفيسور رودلف دفوراك، أستاذ الدراسات العربية في جامعة براغ، وعضو الجمعية البومية للعلوم، والذي حاول آنذاك أيضًا كسب موسيل للعمل في جامعة براغ ولم يتمكن من ذلك إلا في عام ١٩١٩م.

توجه موسيل في شهر مارس من عام ١٨٩٨م إلى رحلة استكشافية جديدة في المنطقة العربية، بدأها من القدس ثم بيروت وغزة عبر بلاد الأدوميين إلى العقبة، وقد كان يزمع من هناك زيارة آثار تيماء، بيد أن ذلك لم يتحقق له، فقد ألقي القبض عليه من قبل المحافظ العثماني هناك وأرسله إلى قائم مقام معان العثماني الذي لم يلبث أن أطلق سراحه بعد أن تحقق من هويته وأهدافه، وغادر إلى الكرك[1] ليقيم بعض الوقت عند صديقه عبد ربه، ومن هناك كتب رسالة إلى أهله في النمسا يقول فيها: «لقد عبرت مناطق صحراوية خالية، فمن القدس إلى غزة ثم عبر الصحراء حتى العقبة على البحر الأحمر، ومن هناك باتجاه الشمال إلى البتراء التي أمضيت فيها عشرة أيام عمل متتالية، وفي رحلتي هذه لبست ملابس عربية، ثوبًا أحمر اللون مخططًا، وعباءة سوداء مصنوعة من شعر الماعز، وغترة مخططة وعقالاً وحذاءً أحمر اللون».

(١) بلدة تقع شرق البحر الميت.

غادر موسيل منطقة الكرك في ٢٨ مايو عام ١٨٩٨م إلى مأدبا، وعلى الرغم من مراقبة شرطة المدينة تحركاته آنذاك، إلا أنه شرع يخطط لواحدة من أهم رحلاته العلمية، فقد أخذ يعد في هذه الأثناء لزيارة قصر (عمرة) الأثري، إذ تمكن من الهرب من المدينة، وخارجها التقى أصدقاء له من قبيلة بني صخر، وسرعان ما أخذوه إلى مضارب قبيلتهم. وفي ٨ يونيو عام ١٨٩٨ سنحت له الفرصة التي طالما انتظرها، ففي هذه الأثناء تحرك أفراد قبيلة بني صخر للقيام بتمرين عسكري شارك فيه ٦٤٣ جملاً، ولم يتوانَ موسيل عن مرافقة هذه المناورة، وخصوصًا عندما علم أنها سوف تمر بالقرب من قصر (عمرة). وبينما كان الجيش يسير نحو الأمام توقف بعض الوقت، كي يقوم موسيل بزيارة القصر، وبصحبة أحد الأدلاء وصل إليه، ويقول عن هذه الزيارة: «لقد دخلت القصر وسرعان ما فوجئت بالرسومات واللوحات الفنية تنتشر على جدرانه وقبابه، وفي هذه اللحظات خالجني شعور بأن طول انتظاري لهذا الاكتشاف كان في محله»(١). وبينما كان موسيل يلتقط الصور الفوتوغرافية لأرجاء القصر صاح دليله من فوق سطح القصر محذرًا إياه من قدوم أشخاص مسلحين نحوهم، فما كان من موسيل ودليله إلا أن أسرعا هاربين إلى رفاقهم، وعلى الفور تحرك الجميع، وفي أثناء مسيرتهم في اليوم التالي إلى مضارب قبيلة بني صخر تعرضوا لهجوم مباغت من قبل أتباع قبيلة ابن شعلان، فالتحم الجيشان، وسقط في المعركة سبعة عشر قتيلاً، وتمكن بنو صخر من غنيمة مائتي جمل، عادوا بها مسرورين إلى مضاربهم.

---

(١) Musil, Qusejr Amara, p. 15.

عاد موسيل إلى النمسا بعد ثلاث سنوات من العمل المتواصل في استكشاف مناطق شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين، ولدى وصوله إلى فينّا بدأ في لفت أنظار الباحثين هناك إلى استكشافاته الجغرافية والأثرية في المنطقة العربية، وعلى الرغم من أن موسيل فقد صوره الفوتوغرافية لقصر (عمرة) في أثناء هروبه من الهجوم المفاجئ عليه، إلا أنه تمكن بواسطة تقاريره عن القصر أن يقدم تصوراً مقنعاً للباحثين بأهمية القصر لدراسة تاريخ الفن.

وعلى إثر حصول موسيل على إجازة دراسية من عمله ومنحة مالية من وزارة التعليم النمساوية توجه في عام ١٨٩٩/١٩٠٠م إلى جامعة كيمبردج، ثم إلى ألمانيا، حيث التحق للدراسة في قسم آثار الشرق الأدنى في جامعة فردرش فلهلم الملكية في برلين، وهناك استمع إلى محاضرات المستشرق الألماني إدوارد سخاو (ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) عن شرح المفضليات وتفسير القرآن الكريم للبيضاوي، كما تتلمذ أيضًا على يد البروفيسور فردرش ديلتش، وسمع محاضراته في اللغات البابلية والآشورية. وبعد فصل دراسي كامل في جامعة برلين عاد موسيل في ١٥ مارس عام ١٩٠٠م إلى فينّا، وسرعان ما التحق في دورة متخصصة في علم الخرائط عقدها - آنذاك - معهد المساحة العسكرية النمساوي.

تزايدت في هذه الأثناء اهتمامات المؤسسات العلمية النمساوية ورغبة الباحثين هناك في معرفة المزيد عن اكتشاف موسيل لقصر (عمرة)، ومن أجل ذلك ظهر موسيل فجأة في نهاية شهر مارس من عام ١٩٠٠م في دمشق، ومنها توجه إلى مأدبا حيث التقى هناك صديقه هايل الذي أخبره

أن العلاقات بين قبيلة بني صخر وقبيلة الرولة على ما يرام، الأمر الذي يعني لموسيل أن في إمكانه الآن زيارة قصر (عمرة) الذي يقع على الحدود بين القبيلتين من دون رهبة من هجوم أفراد قبيلة الرولة عليه. فغادر موسيل بصحبة رفيقه هايل في ٩ يوليو عام ١٩٠٠م عبر طريق الحج الشامي، وفي اليوم التالي وصل قصر (عمرة) الأثري، وسرعان ما بدأ في التقاط الصور الفوتوغرافية له، وبعد ثلاثة أيام من العمل المتواصل غادر القصر. ومن هناك كتب تقريرًا مفصلاً عن عمله بعثه على الفور إلى ديفيد مولر، عضو أكاديمية العلوم النمساوية، فكان له أثر بالغ في ازدياد شهرة موسيل في الأوساط العلمية النمساوية، وتنامي رغبتهم في ضرورة توثيق قصر (عمرة) ولوحاته الفنية بأسلوب علمي مفصل.

تلقى موسيل خلال إقامته في (أولمتز) برقية عاجلة تستدعيه إلى مقر الجمعية الملكية النمساوية للفنون في فينّا للإعداد لرحلة علمية إلى قصر (عمرة) الأثري، وكان في استقباله في الجمعية الرسام ميليتش الذي سيرافقه في هذه المهمة، وفي منتصف شهر أبريل سنة ١٩٠١م أبحر الاثنان من تريست إلى القدس ومنها إلى مأدبا، وعلى الرغم من أن إقامة موسيل في مأدبا كانت أيضًا هذه المرة محط شك من قبل الجنود العثمانيين، الأمر الذي جعلهم يراقبون تحركاته، إلا أنه تمكن في ٢٥ مايو من مغادرة المدينة تحت جنح الظلام بصحبة ميليتش ودليلهما عكاشي، وساروا عبر الطريق السلطاني باتجاه الجنوب ثم الجنوب الشرقي إلى قصر (عمرة)، وفي الحال باشروا العمل باستنساخ مقتنيات القصر وتصويرها من رسومات ولوحات فنية، وعند انتهاء العمل في ٨ يونيو قام

ميليتش بعمل غير مقبول انزعج منه موسيل كثيرًا، فقد اقتلع عددًا من لوحات الفسيفساء التصويرية وحملها معه بحجة إخضاعها للدراسة المخبرية وتحليل مادة ألوانها، وقد تسبب هذا العمل المشين من قبل ميليتش بأن أصبح كل من يزور القصر من الباحثين في الفترات اللاحقة يلوم موسيل على ذلك ظنًا منهم أنه هو نفسه من قام بهذا التصرف غير العلمي.

أرسل موسيل غنائم القصر معبأة في اثني عشر صندوقًا من القدس إلى فينًا، أما هو ورفيق رحلته فلم يكتفوا بما غنموه، بل استغل موسيل الفرصة لزيارة عدد آخر من القصور الأموية في المنطقة فقام بتصويرها وعمل مخططات لها، كما تمكن أيضًا من جمع عدد من النقوش العربية القديمة ومعلومات عن شعوب المنطقة ولهجاتها، إضافة إلى المعلومات اللازمة لخرائطه الجغرافية التي كان يعدها - آنذاك - للمنطقة.

ونظرًا لكثرة المعلومات العلمية التي تمكن موسيل خلال السنوات الماضية من جمعها من مناطق متفرقة في شمال الجزيرة العربية، فقد قامت أكاديمية العلوم النمساوية في عام ١٩٠٢م بتشكيل لجنة علمية أسمتها «لجنة شمال الجزيرة العربية» تتولى فقط تصنيف المادة العلمية التي أحضرها موسيل خلال رحلاته المتكررة إلى المنطقة العربية ودراستها.

عكف موسيل في تلك الأثناء على استكمال خريطته الجغرافية للمنطقة التي كان يسميها (العربية الصحراوية)، ولكنه سرعان ما لاحظ نقصًا في المعلومات الجغرافية اللازمة لاستكمالها، مما جعله يعقد العزم

على الرحيل مرة أخرى إلى شمال الجزيرة العربية، وعلى الفور ظهر موسيل في نهاية شهر يونيو عام ١٩٠٢م في القدس، ومنها غادر إلى غزة، وأخذ يتجول في مقاهيها وأزقتها لجمع المعلومات الإثنوغرافية عن سكانها، وهناك تعرف إلى محمد أبو منديل، أحد أفراد قبيلة بلي الذين لهم معرفة في الأماكن الجغرافية وأسمائها، ولكن محمداً سرعان ما اختفى، مما اضطر موسيل إلى البحث عن شخص آخر لمرافقته، ومما زاد من صعوباته في هذه الرحلة التي كان يزمع فيها استكشاف المناطق الجنوبية حتى الحدود المصرية هو انتشار وباء الكوليرا في مصر والجدري في شمال الجزيرة العربية، وهذا يعني أن موسيل لن يتمكن أيضاً من استكمال برنامج رحلته، إلى مدائن صالح وقرية في منطقة تبوك. لم تتوقف المصاعب عن ملاحقة موسيل خلال هذه الرحلة، فقد تعرض لغارة سطوٍ فَقَدَ على إثرها مذكراته اليومية ورسوماته، وأصيب بمرض كاد يودي بحياته، كما تلقى نبأ قيام رفيق رحلته الماضية السيد ميليتش ببيع مقتنيات قصر (عمرة) الأثري دون علمه على متحف القيصر فريدريش في برلين. وعلى الرغم من ذلك كله واصل موسيل استكشافاته الجغرافية والأثرية في مناطق جنوب الأردن، كما تمكن من ملاحقة من سطوا على مذكراته اليومية، واستطاع بعد فترة وجيزة استعادتها.

رجع موسيل بعد تحقق أهدافه وفي جعبته إضافة إلى ملاحظاته الجغرافية مئة وخمسون نقشاً نبطياً، واستقبل في بلاده بحفاوة بالغة من قبل الأوساط العلمية والأكاديمية، وتحدثت عن رحلاته المجلات العلمية في أوروبا وحتى في أمريكا، فقد طالعت المجلة الجغرافية البريطانية قُرَّاءها

بخبر تحت عنوان: «رحلات موسيل إلى شمال الجزيرة العربية» بخبر مفاده: : «لقد استكشف الباحث الجسور ألويس موسيل قبل مدة وجيزة مناطق لم يصلها أوروبي قبله، وإضافة إلى اكتشافه لقصر (عمرة)، وجمعه عدداً من النقوش العربية القديمة، ومواد علمية أخرى ذات أهمية لغوية وتاريخية بالغة، فقد جلب معه مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية ومخططات عدد من المواقع الأثرية والمباني القديمة. . . »(١).

وفي اجتماع احتفالي لأكاديمية العلوم النمساوية في عام ١٩٠٣م أعلن رئيسها السيد كراباجك أنه بفضل المعلومات الجغرافية التي جمعها موسيل خلال رحلاته العلمية إلى المنطقة العربية تم الانتهاء من إعداد خريطة جغرافية للمنطقة الواقعة بين غزة والبحر الميت شمالاً وحتى البحر الأحمر وتبوك جنوبًا ومن العريش غربًا حتى وادي السرحان شرقًا.

بدأ موسيل في ١٦ مارس من عام ١٩٠٢م عمله أستاذاً مساعداً في جامعة أولمتز، ومنذ ١٠ نوفمبر من سنة ١٩٠٤م أستاذًا في قسم اللاهوت في الجامعة نفسها، وفي ذلك الوقت وجه موسيل اهتمامه إلى نشر أبحاثه العلمية ونتائج رحلاته الميدانية في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين.

وفي عام ١٩٠٦م نشر معهد المساحة العسكري النمساوي خريطة موسيل الجغرافية التي تضمنت المنطقة الواقعة بين الحدود المصرية في الغرب ووادي السرحان في الشرق وبين وادي الكرك في الشمال والبحر

(١) Geographical Journal, Vol. 20, London (1902), p. 633.



ألويس موسيل

الأحمر في الجنوب، وقد غطت هذه الخريطة نحو ٦٢ ألف كم٢ منها نحو ٥٠ ألف كم٢ ترفع لأول مرة على خريطة جغرافية.

كانت بريطانيا في هذه الأثناء تتابع بحرص شديد أعمال موسيل العلمية، وخصوصاً خرائطه وملاحظاته الجغرافية، الأمر الذي جعل وزير

الخارجية البريطاني إدوارد جري يطلب من موسيل أن يكتب له تقريرًا مفصلاً عن المنطقة العربية، فما كان من موسيل إلا أن قام في ١٥ مايو عام ١٩٠٦م بإرسال خريطته الجغرافية لمنطقة (العربية الصحراوية)، ويرفقها تقرير آخر عن التركيبة السكانية والقبلية في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين إلى مكتب وزير الخارجية البريطاني. وفي العام نفسه حاولت بريطانيا التي كانت - آنذاك - ترعى مصالحها في منطقة الشرق الأوسط بحرص شديد أن تستفيد من خبرة ألويس موسيل العملية والعلمية، فتقدمت إليه بطلب أن يعمل لصالحها، ولكن قوة انتماء موسيل الوطنية وشعوره القومي جعلاه يرفض عرض بريطانيا، ولا سيما أنه كان يحظى آنذاك باهتمام دولته وتقديرها له من خلال منحه عددًا من الأوسمة لعل من أبرزها تاج القيصر النمساوي من الدرجة الثالثة، وتعيينه عضوًا في أكاديمية العلوم النمساوية.

كان موسيل في هذه الأثناء يخطط للقيام برحلة جديدة إلى الشرق، وتحديدًا إلى المنطقة التي لم يتمكن خلال رحلته في عام ١٩٠٢م من زيارتها، بسبب انتشار مرض الجدري والكوليرا في أرجائها، ولكنه أرجأها بحجة قوله: «ولأنني لا أعلم هل سأعود سالمًا من رحلتي المزمعة هذه، لذلك أفضل أن أقوم برحلتي الجديدة بعد أن استكمل إعداد ما جمعته من معلومات في رحلاتي السابقة».

ظل موسيل إلى جانب ذلك يجهز لرحلته المقبلة، ونظرًا للشهرة العالمية التي حظي بها من خلال رحلاته الاستكشافية السابقة لم يواجه هذه المرة صعوبات قط في تمويل رحلته، لم لا والحال في هذه الأثناء قد

تغيرت. فلم يعد ألويس موسيل يخدم أهدافه العلمية وحسب، بل أصبح منذ هذه اللحظة يخدم أهداف السياسة التوسعية الدولية في منطقة الشرق الأوسط. فتقاريره عن المنطقة وشعوبها أضحت مصدرًا مهمًا لخدمة أهداف الإمبراطورية النمساوية - المجرية وتطلعاته لتحقيق مقاصدها الاستعمارية في المنطقة العربية.

قرر موسيل أن تكون رحلته المقبلة إلى شمال جزيرة العرب، وذلك لإعداد دراسة مفصلة عن القبائل والعشائر القاطنة هناك، تشمل التعرف إلى عاداتها وتقاليدها وأحوالها الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى حصر الآثار ونسخ النقوش العربية القديمة كافة في مواطن سكنى تلك القبائل.

وبينما كان موسيل بصحبة رفيق رحلته توماسبرقر يهمُّ بمغادرة فينّا في مساء يوم ٤ يونيو عام ١٩٠٨م، تفاجأ - وعلى غير العادة - بفرقة معهد المساحة العسكري الموسيقية تستقبله في محطة القطار الجنوبية لتودعه بمقطوعة موسيقية. وهكذا تحرك موسيل من هناك عبر تريست ثم الإسكندرية وبورسعيد ثم يافا التي غادرها بعد إقامة قصيرة إلى حيفا، وفي ١٨ يونيو وصل إلى بيروت، وفيها التقى بصديقه خليل فتال، مترجم القنصلية النمساوية في دمشق، فشرح له أهداف رحلته وتوجهاتها، وسرعان ما نصحه خليل فتال بأن يوطد علاقاته بقبيلة الرولة، ووعده بالمساعدة في هذا الشأن. وعلى الفور انتقل موسيل إلى دمشق ليقيم هناك بانتظار حلول وقت قدوم قبيلة الرولة المعتاد في فترة الصيف للإقامة في منطقة حوران. وحينما تلقى في ١١ يوليو خبرًا مفاده أن شيخ قبيلة الرولة نوري الشعلان يخيِّم في الجابية، انطلق موسيل مسرعًا

لمقابلته، ومنذ تلك المقابلة نشأت علاقة صداقة قوية بين الاثنين، كان من نتاجها أن تمكن موسيل من مرافقة قبيلة الرولة والعيش معها طوال أربعة عشر شهراً متتالية[1]، استطاع خلالها أن يواصل استكشافاته الجغرافية والأثرية وتحقيقاته الإثنوغرافية في شمال الجزيرة العربية، تارة بمرافقة الشيخ نوري نفسه، وأخرى تحت حماية أفراد قبيلته، حتى اكتملت أهداف رحلته ليغادر في ١٤ يوليو عام ١٩٠٩م محملاً بغنائم علمية فاقت توقعات الأوساط العلمية والسياسية في بلاده.

وبينما كان موسيل يزاول أعماله الاستكشافية في شمال جزيرة العرب حاولت جامعة كارلز في براغ كسبه للعمل أستاذًا فيها، ولكنه على الرغم من رغبته في هذا العرض المغري اعتذر بسبب ارتباطه بأعمال علمية مع أكاديمية العلوم النمساوية. وفي الوقت نفسه أسست جامعة فينّا قسمًا خاصًا من أجل موسيل ليتولى فيه تدريس اللغة العربية.

انعقد في بداية شهر سبتمبر عام ١٩٠٩م في إستانبول مؤتمر مجلس الصحة العالمي لبحث مسألة السبل اللازمة لمكافحة الأوبئة التي كانت تفتك بالناس في أثناء موسم الحج، وكان محور النقاش يدور حول ضرورة إنشاء محاجر صحية على طول سكة حديد الحجاز ليتم فيها حجز الحجاج لإعطائهم اللقاحات اللازمة لمنع انتشار عدوى الأوبئة، وقد كان يمثل الإمبراطورية النمساوية-المجرية في هذا المؤتمر الدكتور مارك كارلر الذي

(١) انظر تفاصيل إقامة موسيل بين عرب الرولة: ألويس موسيل، أخلاق الرولة وعاداتهم؛ وانظر أيضًا: البادي، الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٣٧٥-٤١٥.

اقترح على الفور اسم آلويس موسيل للمشاركة في حملة تتولى إعداد تقرير عن الأماكن المناسبة لإنشاء تلك المحاجر الصحية. وفي ١٦ مارس من عام ١٩١٠م تلقى موسيل خطابًا رسميًا من إستانبول يخبره باختياره ضمن فريق عمل لاستكمال توصيات مؤتمر الصحة العالمي، وعلى الفور توجه موسيل إلى إستانبول لاستيضاح الأمر واستكمال الإعداد لرحلة جديدة إلى شمالي غرب الجزيرة العربية. وهناك التقى مع رئيس مجلس الصحة التركي الدكتور جناب الذي أخبره أن الدولة العثمانية ترغب منه علاوة على هدف الحملة الأساسي في أن يساعدها في إقناع قبائل شمال الجزيرة العربية للوقوف في صفها ضد تغيرات السياسة الدولية الطارئة آنذاك، وأن يحاول كبح جماح التوجهات الانفصالية في المنطقة العربية عن الدولة العثمانية.

وهكذا سنحت لموسيل من خلال اختيار الدولة العثمانية له للقيام بهذه المهمة فرصة جديدة لمواصلة استكشافاته العلمية واستكمال مشروع خرائطه الجغرافية لمناطق شمال الجزيرة العربية، وجمع المعلومات عن التركيبة السكانية والقبلية للمنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب. وفي هذا الشأن يقول توماسبرقر، أحد مرافقي موسيل في هذه الحملة: «إن الغرض من قيامنا بهذه الرحلة هو تحديد أماكن إقامة المحاجر الصحية للحجاج، وهذا هو أيضًا ما نص عليه خطاب تكليف الدولة العثمانية لنا، ولكن الحقيقة الثابتة أننا أصبحنا نعمل من أجل تحقيق أهداف الدكتور آلويس موسيل، أكثر من عملنا للحكومة التركية».

في أثناء انهماك موسيل في أعماله المكتبية لتصنيف نتائج رحلته إلى شمالي غرب الجزيرة العربية ونشرها تلقى في بداية شهر ديسمبر عام ١٩١١م رسالة من سكرتير القنصلية النمساوية في بيروت تخبره أن الأمير سكتوس[1] يزمع القيام برحلة إلى الشرق تبدأ من دمشق ثم تدمر وبغداد، وأنه يرغب في الاستفادة من خبرات موسيل في المنطقة وخرائطه الجغرافية لها. وعلى إثر مقابلة بين الأمير سكتوس وموسيل في فينّا اقترح عليه موسيل بدلاً من قيامه برحلة نزهة إلى المنطقة أن تكون رحلته ذات أهداف علمية، وفي اليوم التالي بعث الأمير سكتوس برسالة إلى موسيل يخبره فيها بوجاهة مقترحه، ويرغب منه مرافقته في هذه الرحلة.

لم يمض وقت طويل حتى أنهى موسيل استكمال الاستعدادات العلمية اللازمة للرحلة الجديدة، وفي ١٣ فبراير عام ١٩١٢م غادر موسيل ورفيقه توماسبرقر فينّا، وهناك في حيفا كان الأمير سكتوس بانتظاره، حيث توجه الجميع إلى بيروت ثم دمشق وتدمر ثم بابل وبغداد. وعلى الرغم من أن أغلب المناطق التي تمت زيارتها في هذه الرحلة كان موسيل قد زارها من قبل، إلا أنه استطاع أن يجمع معلومات جغرافية جديدة عن المنطقة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر الفرات.

عاد موسيل إلى بلاده وفي هذه المرة قرر ألا يُشغل نفسه بمزيد من الرحلات العلمية إلى المنطقة العربية، بل إنه اعتذر عن دعوة جامعة هارفرد الأمريكية له للعمل فيها أستاذًا زائرًا مدة عام كامل، كما رفض

(١) سكتوس هو أمير مقاطعة بوربون - فارما، وصهر القيصر النمساوي كارلز الأول، ولد عام ١٨٨٦م ومات عام ١٩٣٤م.

أيضًا محاولة بريطانيا للمرة الثانية في عام ١٩١٣م للعمل لصالحها. وهكذا وجه موسيل جلَّ وقته للتدريس في جامعة فينّا، وإلى كتابة عدد من المقالات المتتابعة في المجلة النمساوية الشهرية للدراسات الشرقية، تحدث فيها عن الأوضاع السياسية والاقتصادية في المنطقة العربية، وحاول من خلالها لفت أنظار دولة القيصر النمساوي إلى الفرص الاستثمارية في المنطقة العربية، وحثَّها على التفكير جديًا بالبدء في إقامة المشاريع الاستثمارية فيها، وفي مقال له بعنوان: «سوريا عبر التاريخ» يقول بعد ما تحدث عن الإمكانات الحضارية والعلمية هناك: «يحاول الأوروبيون منذ نحو خمسين عامًا مدّ نفوذهم في سوريا مستخدمين في ذلك القوة العسكرية، ألا يعلم هؤلاء أن إقامة المشاريع الصناعية بأنواعها، وإنشاء المستشفيات والمدارس هي السبيل الوحيد إلى كسب المنطقة وسكانها»[١].

اندلعت في عام ١٩١٤م الحرب العالمية الأولى، فأسرع الباحثون والأكاديميون الأوروبيون لوضع خبراتهم العلمية والعملية في خدمة مصالح بلدانهم، من أمثال البروفيسور إينو ليتمان، أستاذ اللغات السامية في جامعة توبنقن ومترجم ألف ليلة وليلة إلى اللغة الألمانية، والبروفيسور إدوارد سخاو، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة برلين، وبينما تردد موسيل قليلاً في الدخول بمعترك هذه الأحداث، إلا أنه بعد تلقيه في ٢ أكتوبر من عام ١٩١٤م رسالة من صديقه نوري الشعلان يخبره فيها أن الإنجليز وعدوه بأموال طائلة، إذا ما قام بمهاجمة حاميات القوات العثمانية في المنطقة العربية، وبعد أربعة أيام تلقى رسالة مماثلة من صديقه الآخر

(١) Musil, Syrien in der Weltgeschichte, p. 30.

عودة أبوتايه (شيخ قبيلة الحويطات) يعلمه فيها أن الإنجليز يسعون بواسطة الذهب الإنجليزي إلى حث شيوخ القبائل العربية على الثورة ضد الدولة العثمانية. وهكذا اتصل موسيل على الفور بوزير الخارجية النمساوي وأطلعه على واقع الحال في المنطقة العربية، كما أخبره أيضًا أنه تلقى اتصالاً من الحكومة الألمانية ترغب منه القيام برحلة إلى شمال الجزيرة العربية بهدف تعبئة القبائل العربية ضد الإنجليز.

وعلى إثر موافقة القيصر النمساوي على قيام موسيل بالتوجه إلى شمال الجزيرة العربية لحث قبائلها على الثورة ضد الإنجليز، بعث موسيل برسالة إلى السفير الألماني في فينًا قال فيها: «لقد أصبح الآن واضحًا أن الإنجليز يسعون بكل همة لكسب تأييد القبائل العربية لهم، ونظرًا لأن تلك القبائل فقدت ثقتها بالدولة العثمانية، فمن المحتمل أن لا تتردد في الثورة ضدها . . . . لذلك سوف أتوجه إلى شمال الجزيرة العربية لألتقي بأصدقائي شيوخ القبائل هناك، وأحاول أن أصلح بينهم ليكونوا صفًا واحدًا، وأشرح لهم حقيقة قيام الحرب بين بريطانيا من جهة والنمسا وألمانيا من جهة أخرى. سوف أطلب منهم الوقوف مع الدولة العثمانية، على الأقل خلال فترة الحرب، وسأقدم لهم الضمانات اللازمة لحمايتهم ومساندتهم ....».

غادر موسيل في ٢ نوفمبر عام ١٩١٤م فينًا إلى استانبول ومنها إلى دمشق، وفي ٣ ديسمبر تحركت قافلة موسيل يصحبها عشرة جمال تحمل مؤنًا تكفي عشرة أشهر متتالية في الصحراء إلى الجوف حيث يقيم آنذاك صديقه نوري الشعلان (شيخ قبيلة الرولة). وفي يوم ٢٨ ديسمبر شرع

موسيل في محادثاته التي حاول فيها إقناع نوري الشعلان بعدم جدوى الدخول في حرب جديدة مع ابن رشيد، ونصحه بدلاً من ذلك بعقد معاهدة صلح معه[1]. في هذه الأثناء قدم إلى الجوف عودة أبو تايه (شيخ قبيلة الحويطات) واستمرت محادثات الأطراف الثلاثة حول ضرورة التصالح بين القبائل العربية في هذا الوقت بالذات، ووقوفها جميعًا في وجه أطماع بريطانيا التوسعية في المنطقة العربية. واصل موسيل مساعيه للمصالحة بين القبائل في شمال الجزيرة العربية، وتوجه من الجوف إلى حائل، وهناك التقى وزير ابن رشيد سعود بن سبهان وأطلعه على الأمر واستعداد نوري بن شعلان للتصالح معه، ثم غادر إلى العلا. وبعد أن أقنع موسيل نفسه بأنه تمكن خلال محادثاته من إصلاح ذات البين بين قبائل شمال الجزيرة العربية سار عبر النفود الكبير، حيث رافق قافلة تجارية لعشائر عبدة وسنجارة كانت في طريقها إلى النجف، وحينما وصل هناك في ٥ أبريل عام ١٩١٥م لم يتوان في مزاولة استكمال استكشافاته الأثرية والجغرافية، إذ قام في زيارة آثار الخورنق والقادسية، ثم توجه إلى كربلاء ومنها إلى بغداد لاستكمال مساعيه في العمل لصالح دول الاتحاد (النمسا، المجر، وألمانيا، والدولة العثمانية). وهناك في بغداد المحطة الأخيرة لمأموريته لاحظ ألويس موسيل بكل وضوح أن المرء ليس في وسعه وقف مدّ النفوذ الإنجليزي في المنطقة العربية المدعوم بالوعود تارةً وبالذهب الإنجليزي تارةً أخرى. وهذا ما حدث لاحقًا فأصدقاؤه الشيخ

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند: البادي، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، ص ٤٢٩-٤٤٩.

نوري الشعلان وابنه نواف والشيخ عودة أبو تايه اضطروا في عام ١٩١٧م إلى دعم نفوذ سياسة بريطانيا التوسعية في المنطقة العربية، وأعمالهم تحت إمرة الضابط الإنجليزي لورانس معروفة للجميع.

لقد حاول موسيل من خلال جهوده السياسية والدبلوماسية بين أوساط قبائل شمال الجزيرة العربية المتناحرة فيما بينها آنذاك أن يعمل بكل إخلاص لترسيخ مصالح بلاده في المنطقة العربية، ولكن أحداث مطلع عام ١٩١٧م أكدت له أن السفينة غارقة لا محالة.

وهل لرجل يتصف بمثل طموح موسيل وهمته أن يتنازل بسهولة عن تطلعاته وخططه الرامية لإيجاد موطئ قدم لدولة القيصر النمساوي - المجري في بلاد العرب، كلا، بل إن موسيل سرعان ما غير خططه السابقة مستغلاً صداقته القوية مع القيصر النمساوي ونفوذه في مؤسسات الإمبراطورية النمساوية المجرية جاعلاً من الثقافة والاقتصاد محوراً رئيساً لترسيخ نفوذ دولته في منطقة الشرق الأوسط. ومن أجل ذلك أحيا ما يسمى آنذاك «شركة الشرق وما وراء البحار»، كما أقنع القيصر النمساوي كارلز الأول بفكرته، وجعله يدفع مليونين ومئة كرونة لدعم الشركة على الرغم مما كانت تعانيه الخزينة النمساوية من مصاعب آنذاك.



ألويس موسيل

تقدم موسيل في اجتماع لأعضاء الشركة المكون من رجال الأعمال والساسة والأكاديميين بمشروعه الجديد الذي كان يرتكز على توظيف مخرجات الأبحاث العلمية والثقافية لخدمة الاستثمارات الاقتصادية، وبناء

على ذلك قسمت «شركة الشرق وما وراء البحار» إلى هيكلين رئيسين، الأول يعنى بوضع سياسات الاستثمارات الاقتصادية، والثاني تنصب مهامه على دعم الخطط العلمية والثقافية وتوجيهها، ويكون برئاسة ألويس موسيل نفسه.

لقد كان موسيل يرى في أحداث عام ١٩١٧م، التي لا تزال فيها بريطانيا وفرنسا تخوضان حربًا شعواء في المنطقة العربية من أجل ترسيخ نفوذهما وتوطيد مخططاتهما الاستعمارية والتوسعية، فرصة مناسبة لتحقيق طموحاته في إقامة علاقات ثقافية واقتصادية بين دولة القيصر النمساوي والمنطقة العربية، تتحقق أهدافها الاقتصادية من خلال اعتمادها التام على الأبحاث العلمية والثقافية.

وهكذا وجه موسيل جهوده في تلك الأثناء لصياغة الأفكار والمقترحات اللازمة، أما تنفيذها فقد تولته وزارة الحرب النمساوية، التي سرعان ما وجهت في ١٨ يوليو ١٩١٧م خطابًا رسميًا باسم القيصر النمساوي - المجري إلى موسيل تطلب منه الموافقة على ترؤس بعثة جديدة إلى سوريا وفلسطين، هدفها الرئيس تقييم المستجدات على الساحة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المنطقة العربية أثناء الحرب، وكذلك تحري الفرص المناسبة لإعلاء شأن الإمبراطورية النمساوية - المجرية بما يخدم سياساتها الاقتصادية التوسعية، وأيضًا الحد من تزايد انفراد ألمانيا بالنفوذ بالمنطقة. وعلى الرغم من أن هذا التكليف يعني الشروع الفعلي في تحقيق خطط موسيل نفسه، إلا أنه لم يوافق على برنامج البعثة المقترح من وزارة الحرب النمساوية على الفور، واقترح بدلاً

من أن تكون البعثة برئاسته أن يضفي عليها شيئاً من الرسمية، بل إن موسيل استطاع في هذه الأثناء إقناع القيصر النمساوي بأن تكون البعثة المزمعة إلى المنطقة العربية برئاسة الأمير هوبرت سلفاتور، أحد أبناء القصر الملكي النمساوي.

غادرت البعثة في ١ سبتمبر عام ١٩١٧م فينّا، وفي إستانبول استقبلت استقبالاً رسميًا من قبل الحكومة العثمانية ووحدات الجيش النمساوي المرابطة هناك، وبعد برنامج حافل بالزيارات واللقاءات مع عدد من وزراء الدولة العثمانية توجهت إلى زيارة باندرما وسمرانا، وفي ١٦ سبتمبر وصلت إلى حلب، ومنها إلى دمشق، وهناك واصلت البعثة محادثاتها وترسيخ أهدافها الثقافية والاقتصادية، أما زيارة البعثة المزمعة إلى يافا فقد ألغيت من البرنامج بعد أن أخبر أحد الضباط الإنجليز موسيل بأن قوات الجنرال الإنجليزي ألنبي تعتزم خلال الأيام القليلة القادمة احتلال بيت لحم. وفي ١ نوفمبر عادت البعثة بعد توقف قصير في بيروت إلى إستانبول، ومنها إلى فينّا التي وصلتها في ١٧ نوفمبر عام ١٩١٧م.

لقد حققت البعثة حسب تقرير وزير الحربية النمساوي المرفوع إلى مقام القيصر النجاح المطلوب، وبناء على اقتراح وزارة الحرب النمساوية مَنَحَ القيصر النمساوي ألويس موسيل لقب «صاحب المشورة».

ولعل من أبرز النتائج الملموسة لهذه البعثة تمكّن موسيل من البدء فعلياً في تنفيذ أولى نشاطات برنامجه الثقافي، فقد قام باختيار مجموعة من الطلبة العرب للدراسة في الجامعات النمساوية، كان من بينهم أنتون

فتال وهو ابن صديقه خليل فتال. وهناك في النمسا وجد أولئك الطلبة العرب عناية خاصة من موسيل نفسه، حتى أنه كان يساعدهم في كتابة رسائلهم إلى جامعاتهم وإلى وزارة الخارجية النمساوية، بل كان أيضًا يحرص على قراءة بعض رسائلهم إلى ذويهم خشية أن يكون أحدهم كتب فيها ما يؤثر على سمعة بلاده في المنطقة العربية.

ظل موسيل طوال أكثر من عشرين عامًا مؤمنًا بأفكاره حتى عام ١٩١٨م حينما تفككت الإمبراطورية النمساوية - المجرية، فتبددت معها طموحاته السياسية والدبلوماسية في المنطقة العربية، ولكنه من جانب آخر نجح نجاحًا منقطع النظير في طروحاته ودراساته العلمية، وساهم من خلال أبحاثه العلمية في شمال الجزيرة العربية وفلسطين وبلاد الشام في جمع مادة علمية لا تزال المراكز البحثية والأكاديمية تنهل منها وتعدها مرجعية رصينة.

وعلى إثر إعلان قيام الجمهورية التشيكوسلوفاكية، والجمهورية الألمانية النمساوية في ٢٨ أكتوبر ١٩١٨م، وما تلا ذلك من أحداث قدم ألويس موسيل استقالته من جامعة فينًا، وفي عام ١٩٢٠م استدعته جامعة براغ للعمل فيها أستاذًا للغة العربية، مما منحه الوقت الكافي لاستكمال نشر أبحاثه وتقارير رحلاته إلى المنطقة العربية.

ونظرًا لأن المقام لا يتسع لحصر جميع ما نشره ألويس موسيل[1] خلال حياته العلمية، لذا سنكتفي هنا فقط بذكر تقارير رحلاته العلمية

(١) جدير بالذكر أن ألويس موسيل كتب فيما بين ١٩١٤-١٩١٨م ما يزيد على سبعين مقالاً.

والاستكشافية في المنطقة العربية:

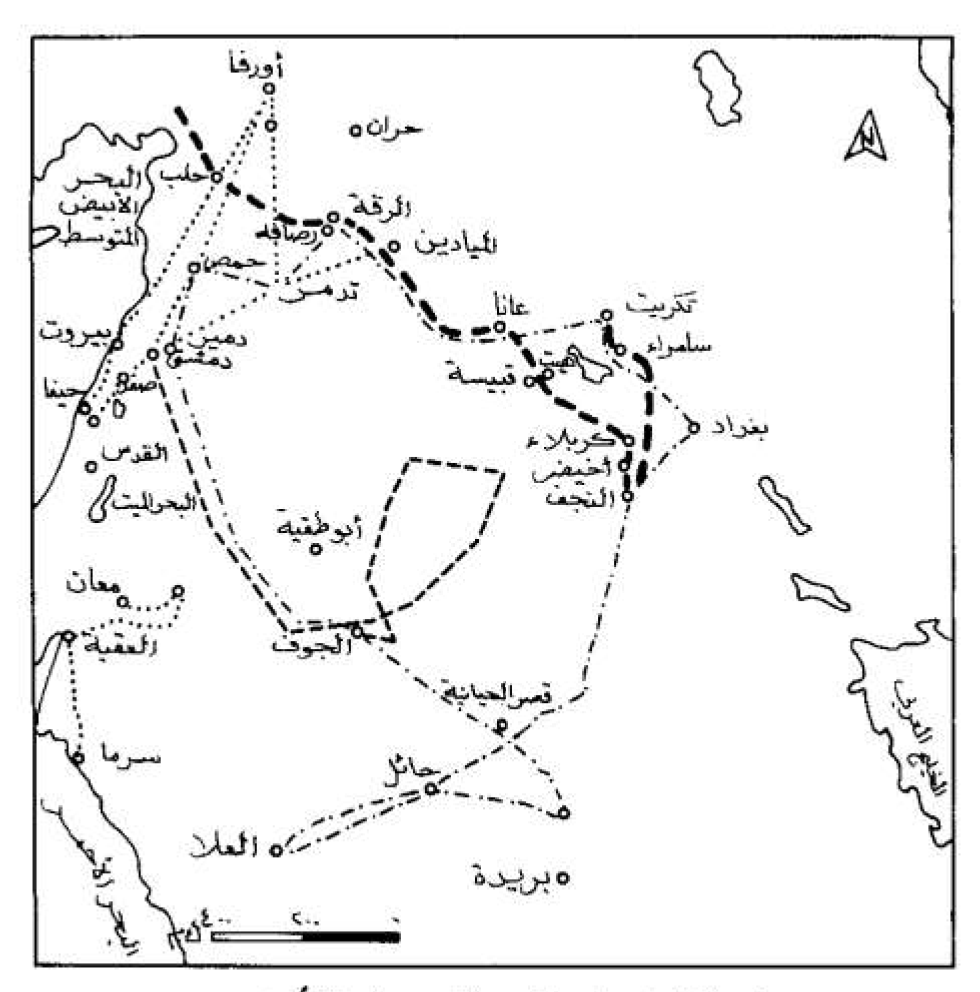
- Siesta. Na brehu Nilu, in: Nový zivot,Bd.1,2, Olmütz 1896.
  (استراحة على ضفة نهر النيل).
- Z Nazareta do Betlema in: Nas domov, Olmütz 1896.
  (من الناصرة إلى بيت لحم).
- آثار قديمة في غزة، المشرق، بيروت ١٨٩٨م
- رحلة إلى بلاد العرب، المشرق، بيروت ١٨٩٨م
- V al-Keraku, in: Hlas, Brünn 1900. (الكرك)
- V Jerusaleme, in: Hlas, Brünn 1900 (القدس)
- Vorlage eines topographischen Reiseberichtes, in: Anzeiger d. A.d.W., Wien 1901. (تقرير مبدئي عن رحلة جغرافية)
- Nilu stare káhiry, in: Novy zivot, Olmütz 1901. (نهر النيل والقاهرة القديمة)
- Kusejr Amra und andere Schlösser östlich von Moab, Topographischer Reisebericht.1. Teil, in: Sitzungsberichte der phil.-hist. Klasse der A.d.W., Wien 1902.
  قصير عمرة وقصور أخرى شرقي بلاد موآب، تقرير رحلة جغرافية).
- Bericht über die Expedition 1902, in: Anzeiger der A.d.W., Wien 1902. (تقرير عن رحلة عام ١٩٠٢م)
- Moab, Vorbericht über eine ausführliche Karte und topographische Beschreibung des alten Moab, in: Anzeiger

der A.d.W., Wien 1903. موآب: (تقرير مبدئي عن خريطة مفصلة ووصف تضاريسي لبلاد موآب القديمة).

- Edom, Voranzeige über eine ausführliche Karte und topographische Reisebeschreibung des alten Edom, in: Anzeiger der A.d.W., Wien 1904. (إدوم: عرض عن خريطة تفصيلية ووصف تضاريسي لرحلة إلى بلاد إدوم القديمة).
- Abhandlung über die "Dritte Reise nach Kusejr Amra", in: Anzeiger der A.d.W., Wien 1904. (نشرة علمية عن الرحلة الثالثة إلى قصير عمرة).
- Arabia Petraea, Band 1, Moab, Topographischer Reisebericht, Wien 1907. (العربية الصخرية، موآب، تقرير رحلة جغرافية).
- Arabia Petraea, Band 2, Edom, Topographischer Reisebericht, 1.Teil, Wien 1907. (العربية الصخرية، إدوم تقرير رحلة جغرافية).
- Kusejr Amra, Band 1, Text mit einer Karte von Arabia Petraea, Wien 1907. (قصير عمرة، الجزء الثاني: نصوص وخريطة للعربية الصخرية).
- Arabia Petraea, Band 2, Edom, Topographischer Reisebericht, 2.Teil, Wien 1908. (العربية الصخرية، إدوم تقرير رحلة جغرافية).

- Nord - Arabien, Vorbericht über die Forschungsreise 1908-1909, in: Anzeiger der A.d.W., Wien 1909.(شمال الجزيرة العربية: تقرير أولي عن رحلة ما بين عامي ١٩٠٨- ١٩٠٩م العلمية).
- Im Nordlichen Hegaz, Vorbericht über die Forschungsreise 1910, in: Anzeiger der A.d.W., Wien 1910.:(في شمال الحجاز: تقرير مبدئي عن رحلة عام ١٩١٠م).
- In Nordostarabien und Südmesopotamien, Vorbericht über die Forschungsreise 1912, in: Anzeiger der A.d.W., Wien 1913.(في شمال شرق الجزيرة العربية وجنوب بلاد الرافدين: تقرير مبدئي عن رحلة عام ١٩١٢م العلمية).
- The Northern Hegaz, American Geographical Society of New York: Oriental Explorations and Studies, No. 1, New York 1926. (شمال الحجاز).
- Arabia Deserta, American Geographical Society of New York: Oriental Explorations and Studies, No. 2, New York 1927. (العربية الصحراوية)
- The Middle Euphrates, American Geographical Society of New York: Orental Explorations and Studies, No. 3, New York 1927. (وسط الفرات)
- Palmyrena, American Geographical Society of New York: Oriental Explorations and Studies, No. 4, New York 1928. (تدمر).

- Northern Negd, American Geographical Society of New York: Oriental Explorations and Studies, No. 5, New York 1928. (شمال نجد)
- Pod ochranou Nuriho, Prag 1929. (في حماية النوري)
- In the Arabian Desert, London 1931. (الصحراء العربية)



خريطة تبين مسار طرق رحلات موسيل، نقلاً عن :

Pfullmann, Durch Wüste

موضوع البحث

بدأ ألويس موسيل بحثه بمقدمة مختصرة عن جغرافية منطقة نجد، ثم شرع يؤرخ لبداية الدولة السعودية الأولى، وناقش نشأتها في الدرعية، وأشار إلى اللقاء التاريخي بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقيام الدولة السعودية على يد الإمام محمد بن سعود، وتتبع جهوده في نشر الدعوة الإصلاحية، وتوجهاته في توحيد الجزيرة العربية. ثم تابع المؤلف حديثه عن فترة حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد وناقش ما تحقق في عهده من اتساع جغرافي للدولة السعودية، ثم ألقى الضوء على عهد خليفته الإمام سعود بن عبدالعزيز مبينًا دوره في سبيل توحيد جزيرة العرب، وأشار إلى قيامه باستكمال ما بدأه والده في ضمّ منطقة الحجاز، وجهوده في فتح مناطق واسعة من جنوب الجزيرة العربية شملت نجران وعسير وأجزاء من اليمن وعمان. كما سلّط الضوء على توجهات الدولة العثمانية وسياساتها في احتلال جزيرة العرب مبينًا جهود الإمام عبدالله ابن سعود ومحاولاته صد هجوم قوات محمد علي عن دولته، وما تلا ذلك من أحداث جسام أسفرت عن استيلاء العثمانيين على عاصمة الدولة السعودية، وترحيل عدد من أفراد آل سعود إلى مصر، وقتل الإمام عبدالله في الأستانة.

تحدث المؤلف أيضًا عن الفراغ السياسي والأمني الذي أحدثه غياب السلطة المركزية في قلب جزيرة العرب وما تخلله من أحداث مهمة إلى أن قيّض الله - عز وجل - للبلاد رجلاً شجاعًا هو الإمام تركي بن عبدالله الذي أعاد للدولة السعودية هيبتها من جديد، واستطاع أن يوحد عددًا من

البلدان النجدية. وسلط المؤلف الضوء على فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى، وما واكبها من أحداث تاريخية أسفرت عن تدخل الدولة العثمانية من جديد في شؤون الدولة السعودية، ثم تحدث عن فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية وجهوده في استعادة أغلب أراضي الدولة السعودية الأولى. كما أشار إلى الصعوبات التي دخلت فيها الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام عبدالله بن فيصل والإمام سعود بن فيصل التي تمخض عنها استيلاء الأمير محمد بن رشيد على الرياض عاصمة الدولة السعودية، وما ترتب على ذلك من خروج الإمام عبدالرحمن وأسرته وابنه عبدالعزيز من الرياض.

وسلّط المؤلف الضوء على استرداد الرياض على يد الملك عبدالعزيز، ووضح جهوده في توحيد أغلب مناطق الجزيرة العربية، وختم المؤلف حديثه بإلقاء الضوء على جوانب من شخصية الملك عبدالعزيز ومساعيه من أجل تأسيس دولة قوية تنعم بالأمن والاستقرار، وتطلعاته إلى إرساء دعائم نهضة حضارية شاملة في دولته.

منهج البحث ومصادره

نشر ألويس موسيل بحثه عن تاريخ الدولة السعودية في شهر يونيو من عام ١٩١٧م في العدد الثالث والأربعين من «المجلة النمساوية الشهرية للدراسات الشرقية»، وقد نشره على ثلاث مراحل، الجزء الأول يبدأ من الصفحة ١٦١ إلى ١٧٢، والجزء الثاني يبدأ من الصفحة ٢٠٠ إلى ٢١٨، والثالث من صفحة ٢٩٧ إلى ٣٠٨، وفي ختام الجزأين الأول والثاني أشار مستخدمًا كلمة «يتبع» إلى أن للبحث بقية، أما الجزء الثالث فقد مهره بكلمة «النهاية» دلالة على أن البحث ينتهي بانتهاء جزئه الثالث.

وعلى الرغم من أهمية هذا البحث رافدًا من روافد معلومات تاريخ الدولة السعودية بأطوارها الثلاثة، وخصوصًا وأن مؤلفه عاصر جزءًا من أحداث الجزيرة العربية التاريخية خلال رحلاته المتكررة إلى مناطق شمال الجزيرة العربية منذ عام ١٨٩٦م حتى عام ١٩١٧م، إلا أن البحث ظل مجهولاً في الأوساط العلمية وبين الباحثين، فحسب مبلغ علمي لم يعرض له أحد قط، سوى تلك الإشارات القليلة إلى عنوانه في بعض المؤلفات الموسوعية التي عنيت بسيرة حياة ألويس موسيل ورصد مؤلفاته. ولعل السبب الرئيس في عدم انتشار البحث وتداوله يعود من جانب إلى طريقة موسيل نفسه في نشر البحث مجزءًا على ثلاثة أعداد، ومن جانب آخر إلى نشره له في مجلة علمية متخصصة، لم تكن متيسرة للقراء، بل يصعب على الباحث الحصول عليها، فضلاً عن القارئ المثقف.

أما عن مصادر البحث فلم يذكر ألويس موسيل المراجع التي اعتمد عليها، بل كتبه على طريقة كتب الرحالة التي تخلو في الغالب من إشارات مرجعية إلى المعلومات التاريخية التي توردها.

ولكن مَنْ تتاح له قراءة البحث سوف لا يخالجه أدنى شك في أن ألويس موسيل اعتمد على مجموعة من المصادر المحلية لتاريخ البلاد السعودية، وكذلك على ما سمعه من رواية شفوية عن الدولة السعودية، وخصوصًا عن الدولة السعودية الثانية ومراحل تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله، وذلك في أثناء وجوده فترة طويلة في مناطق شمال الجزيرة العربية، وخلال رحلاته المتكررة إليها.

وتتأكد حقيقة قراءة ألويس موسيل للتواريخ النجدية للبلاد السعودية واستفادته منها في بحثه عن تاريخ الدولة السعودية من خلال مقابلة نصه مع نصوص كتاب ابن غنام «تاريخ نجد المسمى: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، ومع تاريخ ابن لعبون، وبصفة خاصة مع تاريخ ابن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد». ولعل هذه الحقيقة تتضح جليًا ليس في ذلك وحسب، بل إن ألويس موسيل تأثر من خلال قراءته المصادر المحلية بمنهج مؤرخي نجد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الذي يتصف بالإيجاز واتباع نظام الحوليات المتتابعة، إذ يلاحظ أن موسيل أيضًا سرد الأحداث التاريخية في تسلسل زمني منذ نشأة الدولة السعودية الأولى حتى سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، التي نشر فيها البحث.

منهج الترجمة

لقد حرصت أثناء عملي في الترجمة على نقل النص الألماني إلى اللغة العربية من دون حذف أو نقصان، وسعيت إلى ترجمة النص إلى اللغة العربية متناظرًا في أسلوبه ومتكافئًا في دلالته مع النص الألماني.

أما ما غيّرته في الترجمة العربية فهو عنوان البحث، فقد عنونه ألويس موسيل باسم «ابن سعود»، ونظرًا لأن هذا العنوان لم يعتد على استخدامه اسمًا أو لقباً يشار به إلى أئمة الدولة السعودية، وإذا ما استخدم، وخصوصًا من قبل البدو وبعض الرحالة الغربيين إلى الجزيرة العربية، فإنهم يقصدون به الملك عبدالعزيز فقط، أما حكام الدولة السعودية بأطوارها المتتابعة الذين يتحدث عنهم البحث فلم يُعرف أنهم تلقبوا بلقب «ابن سعود»، بل كانت الدول الأوروبية والدولة العثمانية تخاطبهم بلقب «آل سعود»، ومن جانب آخر ففي ظني أن الباحث لم يوفق في تسميته البحث باسم «ابن سعود»، إذ القارئ لعنوان البحث يتبادر إلى ذهنه على الفور أن البحث يتحدث عن حاكم واحد من حكام الدولة السعودية، ولكن موضوع البحث خلاف ذلك، فهو يؤرخ لأئمة الدولة السعودية كافة بمراحلها المتتابعة، ولهذا السبب آثرت أن تحمل الترجمة العربية اسم «آل سعود: دراسة في تاريخ الدولة السعودية»، آملاً أن يعكس هذا العنوان مضمون الكتاب.

والأمر الآخر الذي صوبته في الترجمة العربية يتعلق بأسماء أئمة الدولة السعودية وأمرائها، فقد اعتمد المؤلف أسلوبًا متناقضًا إلى حد ما في إيراده أسماء أئمة آل سعود وأمرائهم ، فتارة يذكر اسم الحاكم كاملاً،

وتارة أخر يذكره باسم «ابن سعود»، كأن يقول مثلاً: بويع الإمام فيصل بن تركي بعد اغتيال والده. . .، وفي سياق آخر عن الإمام نفسه يضعه تحت اسم «ابن سعود»، أو أن يذكره تحت اسم الإمام فيصل بن سعود، وفي ظني أن في ذلك ما يربك القارئ غير المتخصص ويثقل عليه متابعة سير الأحداث وعلاقتها بشخصياتها، لذلك آثرت أيضًا في الترجمة العربية أن أثبت اسم الإمام أو الأمير الذي تدور حول شخصه الأحداث التاريخية كاملاً، على نحو الإمام محمد بن سعود بدلاً من «ابن سعود»، أو الإمام تركي بن عبدالله بدلاً من تركي بن سعود عند المؤلف.

ونظرًا لأن المؤلف كتب أسماء الأعلام (أشخاص وقبائل ومواضع) برسم الحرف اللاتيني في أصل البحث باللغة الألمانية، فقد بذلت قصارى جهدي لأعيدها إلى صيغها في رسم الحرف العربي. ومثل ذلك أيضًا فيما يخص التواريخ الميلادية، فقد وضعت بعد كل تاريخ ميلادي أثبته المؤلف ما يقابله في التاريخ الهجري بين قوسين.

كما عنيت الترجمة العربية أيضًا بتحقيق نص المؤلف والتعليق عليه في ضوء مصادر تاريخ البلاد السعودية على النحو التالي:

١- التأكد من صحة نص المؤلف وتقويمه ما لزم الأمر، ومقابلة أحداث النص الألماني التاريخية مع ما أوردته المصادر النجدية عن الحدث التاريخي نفسه، وأشرت في الحاشية إلى مصدر معلومة المؤلف التاريخية عند أحد مؤرخي البلاد السعودية المتقدمين أو المعاصرين.

٢- التعريف بمن لزم تعريفه من أسماء الأعلام (أشخاص وقبائل) الواردة في متن البحث.

٣- التعريف بما غمض من أسماء الأماكن والبلدان.

٤- تفصيل بعض ما أوجز المؤلف من أحداث وقضايا تاريخية.

٥- تصويب الأخطاء التي وقع فيها المؤلف في أسماء الشخصيات والأحداث التاريخية.

٦- إلحاق كشاف عام للأعلام، قبائل وأسر وجماعات ومواضع وبلدان.

نص الترجمـــــة

تصف كثير من مصادر الجزيرة العربية الجغرافية جبال طويق بأنها جبال شاهقة، وهي سلسلة جبلية تمتد عبر منطقة نجد في وسط جزيرة العرب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي[1]. وفي الحقيقة فإن جبال طويق ليست جبالاً بالمعنى المفهوم ولا شاهقة ولكنها مرتفعات نشأت بسبب عوامل التعرية. ومرتفعات طويق لا تبدأ من خط ٢٦ْ بل هي تبدأ من خط ٢٩ْ شمالاً، وهي تشكل في أجزائها الشمالية الحدود الشرقية لرمال النفود الكبير. وإلى الجنوب من خط ٢٧ْ شمالاً يمتد على مسافة ٦٠كم غرب جبال طويق جبل آخر مشابه لجبال طويق يسير باتجاه الجنوب الغربي.

تترسب في منخفضات هاتين السلسلتين الجبليتين رمال ناعمة ودقيقة؛ تكونت بفعل تركز الرياح الشمالية الغربية في هذه المناطق. وتنتصب على هذه المرتفعات قمم جبلية لا تزال تزيد من قوة عوامل التعرية. وفي وسط هذه الجبال، ووسط المناطق الرملية يوجد عدد من المنخفضات التي تتفاوت في اتساعها من واحد إلى آخر، وفي هذه المنخفضات تتجمع المياه القادمة من مسافات بعيدة، وهذه المياه ظلت إلى سنوات طويلة تقاوم التبخر؛ بسبب صلابة طبقة أرضية هذه المنخفضات الصخرية أو الطينية.

---

(١) جبال طويق : سلسلة جبلية تسمى أيضًا جبل اليمامة، تمتد بطول ألف وخمسمائة كم ، تبدأ من نفود الثويرات شمال الزلفي حتى تندفن في رمال الربع الخالي، وهي تحيط بمنطقة نجد من شمالها الشرقي حتى جنوبها الغربي، انظر: أطلس المملكة العربية السعودية، ص ٥٤.

تظهر بعد فصل الشتاء المطير نباتات نضرة وزاهية على طبقات الرمال الدقيقة، وفي السهول والمنخفضات، ولكنها مع نهاية شهر يونيو تجف ولا يبقى منها سوى سيقانها، وإذا ما توقف المطر مدة ثلاث سنوات أو أربع فلا يتبقى منها سوى بذورها، ولا من سيقانها سوى الجذور، فتظهر الصحراء وكأنها ميتة. أما في المنخفضات فإن الحشائش الصحراوية تحافظ على اخضرارها بسبب قرب مستوى سطح الماء الجوفي منها. وإذا كان منسوب سطح الماء الجوفي لا يزيد على متر واحد، فإن أشجار النخيل تعيش من دون عناية بشرية، وأما إذا كان بعيداً فلا بد لها في فصل الحرّ. من أبريل حتى أكتوبر- أن تسقى عن طريق الري.

وبما أن مياه الأمطار تجرف معها الرمال التي تكونت بسبب عوامل التعرية لتتراكم في المنخفضات، ثم تتفاعل بسبب الرطوبة، الأمر الذي يؤدي إلى تكون طبقة أرضية خصبة إلى حد ما، يمكن فيها زراعة القمح - الذي تتطلب زراعته رياً متواصلاً - والشعير وبعض أنواع الخضراوات، والعنب والرمان بشكل جيد. وعندما تصبح الحرارة عالية في نهاية شهر مارس وبداية أبريل تجف الحبوب والثمار ولكن المحصول لا يتناسب مع حجم الجهد المبذول. وهذا ما جعل الحبوب (القمح) سلعة ثمينة. ولهذا السبب فإن الغذاء الرئيس لكثير من السكان يرتكز طوال العام على التمر المتوفر بكثرة.

أُحيطت جميع القرى بأسوار عالية ومزدوجة في الغالب، وتقع داخل السور الأول المنازل المتلاصقة بعضها ببعض. وفي داخلها بساتين صغيرة للنخيل، أما المزارع وبساتين النخيل الكبيرة فتملأ المنطقة بين السور الأول

والثاني. لقد كانت الأسوار عالية جداً، وتتكون من سورين مزدوجين مشيدين من اللبن (الطوب) ويفصل بينهما مسافة ٣ إلى ٨ أمتار مملوءة بالطين والأتربة.

وهكذا شكلت كل قرية وحدة مستقلة قائمة بذاتها، وكلما كبرت القرية زاد نشاط سكانها، وكلما زاد وعي أميرها، زاد نفوذه، وأصبحت القرى المحيطة بها موالية له، وساعدته على مد سيطرته إلى الواحات الكبيرة الأخرى. وفي الصحارى الممتدة بين الواحات تتنقل قبائل متعددة خلف إبلها ومواشيها، وهي في الوقت نفسه تتحين الفرصة المناسبة للإغارة على القرى لعلّها تظفر ببعض الغنائم. الأمر الذي يعني أن هذه البلدان (القرى) لم تنعم بالأمن الدائم، إلا في حالة واحدة وهي عندما يتحقق لأمير إحدى القرى القوية أن يمد سيطرته ليس فقط على الحاضرة وإنما على البادية أيضاً، وبذلك تتوقف الغارات، ويرحل اللصوص أو يقضى عليهم. وهكذا يمكن في ظل حماية أمير قوي أن يتنقل الناس في مناطقه بأمن وطمأنينة مشابهة لما هو متوفر في أي بلد أوروبي. كل ذلك ليس بدافع الرغبة في السلام والأمن، ولكن بسبب الخوف من العقوبة. في كثير من الأحيان ثمة إخلال بالأمن من قبل البدو الرحل، فقد كانت الحقول والبساتين والمخازن المملوكة للحاضرة (سكان القرى) تمثل مصدراً للإثارة الدائمة التي لم يكن في الإمكان دوماً مقاومتها، وهذا ما يدركه الحضر (سكان القرى) تماماً، لذلك فهم يقدمون لبعض قبائل البادية عطايا بصفة مستمرة، وكي يضمنوا عدم مهاجمتهم لهم في بلدانهم وقراهم.

ثمة ارتباط آخر بين الحاضرة والبادية يتمثل في معتقدهم الديني، فسكان جزيرة العرب حاضرة وبادية يؤمنون بإله واحد أحد، يَرى ولا يُرى، هو الله. أما الاعتقاد التوحيدي عند البدو - بصفة خاصة عند مربيي الجمال[١] - يذكر من خلال عباداته بطقوس ديانة بطارقة العهد القديم[٢] فالبدو لا يقدسون الأماكن، ولا يقدسون المتاع، ولا يؤمنون بوسيط بينهم وبين الله، ولا يعرفون صيغًا مختلفة للصلاة[٣]. وعلى الرغم من هذه الثوابت فإنهم مسلمون بالاسم فقط، فهم في الحقيقة لا يؤدون تعاليم الإسلام[٤]، وذلك على العكس من الحاضرة (سكان القرى) الذين يقدسون إلى جانب الله عددًا من الأولياء، فعندهم أشجار وأحجار وآبار وقبور مقدسة، ولديهم أماكن عبادة محددة وما يتبع ذلك من حراس لهذه الأماكن ووسطاء بين الأولياء المقدسين والسكان[٥].

---

(١) اعتقاد خاطئ من المؤلف، فالتوحيد لله عز وجل لا يخص فئة دون أخرى.

(٢) العهد القديم هو التوراة وملحقاتها من أسفار اليهود، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ط٢، ص ١٠٩٨.

(٣) تفريق المؤلف بين إيمان البدو والحضر تنقصه الدقة، فدين الإسلام للجميع بادية وحاضرة، فكلهم يؤمنون بإله واحد، ولا يؤمنون بوسيط بينهم وبين الله عز وجل.

(٤) زعم المؤلف هنا لا يستقيم له دليل، وإن جهل البدو ببعض الأمور نظرًا لظروف معيشتهم في الصحراء وقلة إلمامهم بالدين لا يجعلهم مسلمين بالاسم فقط.

(٥) حول الأحوال الدينية في نجد قبل الدعوة السلفية، انظر: السكاكر، الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص ١٤.

وهكذا فالعقيدة الإسلامية تركزت في الواحات (القرى) ولكن ليس بصفائها، بل في الغالب في عاداتها الضالة[1].

إن الاختلاف العقدي والسياسي بين البدو والحضر، على الرغم من اتصال بعضهم ببعض، أيقظ في أذهان بعض سكان المدن فكرة أن إيمان البدو بإله واحد هو إيمان أقوى من ذلك الذي يعتقد بعدد لا يحصى من الأولياء عند الحاضرة، وتبعًا لذلك فهو يمثل عقيدة السلف والدين الصحيح. لقد أحدث هذا التأمل بمرور قرون من الزمن عددًا من الحركات الدينية تجلت بظهور مذهب ابن حنبل الذي يتبعه عدد كبير من سكان شرق الجزيرة العربية[2] وقد كان أتباع مذهب ابن حنبل يجتهدون من وقت إلى آخر لإحياء مذهبه وجعل الناس يسيرون على نهجه، وبذلك خدموا الحكام وزادوا في الغالب من نفوذهم السياسي.

لقد كانت محاولات التجديد هذه تظهر في كل عقد من الزمن، ولعل أبرز محاولات العصر الحديث تلك التي قام بها مؤسس طائفة الوهابيين[3]

(١) تعميم المؤلف هنا غير صحيح ويدل على عدم فهم واضح من قبل موسيل، فعلى الرغم من حقيقة انتشار الجهل وظهور بعض العادات السيئة قبل ظهور الدعوة السلفية، إلا أن منطقة نجد آنذاك لم تخل من الفقهاء والقضاة الذين انحصر نشاطهم في دراسة الفقه، وتناقص اهتمامهم بالتوحيد وأصول الدين.

(٢) لم يعرف أن المذهب الحنبلي كان منتشرًا بشكل كبير في شرق الجزيرة العربية.

(٣) يصف المؤلف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية باسم "طائفة الوهابيين"، وهي ليست طائفة أو مذهبًا في الدين، بل إنها دعوة إصلاحية تقوم على الكتاب والسنة وعقيدة السلف، وتدعو إلى القضاء على كل ما يخل بالعقيدة، وهذا الوصف يطلقه في الغالب أعداء الدعوة وخصومها، لذلك فقد =

التي تمخض عنها قيام الدولة السعودية. ومؤسس هذه الدعوة اسمه محمد، وقد ولد في عام ١٧٠٣م (١١١٥هـ) في بلدة العيينة، وهو ابن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب. أما تسمية الناس له باسم محمد بن عبد الوهاب فهو خطأ شائع، إذ هم يخلطون بين اسمه أبيه سليمان وجده[1].

أدى الفتى الصغير محمد الحج، ثم زار المدينة المنورة، ومن هناك رافق حملة حجاج إلى العراق، وتجول بين المدن العراقية، وأمضى فترة طويلة في البصرة، ثم عاد من العراق عبر الزبير ثم الأحساء إلى وسط بلاد العرب، وتحديداً إلى حريملاء[2]، حيث كان والده سليمان[3] يعمل قاضيًا هناك. وبعد وفاة والده في عام ١٧٤٠م (١١٥٣هـ) بدأ محمد يجهر بالموعظة ضد الخرافات والبدع، فترتب على ذلك إبعاده من حريملاء.

= آثرت استبدال كلمة الوهابية والوهابيين عند ورودها في متن النص بالدعوة الإصلاحية أو الدولة السعودية بحسب سياقها.

(١) ليس صحيحًا قول المؤلف بأن الناس يخلطون بين اسم أبيه وجده، والصواب أن أباه هو عبدالوهاب وسليمان هو جده، واسمه الكامل هو: محمد بن عبدالوهاب ابن سليمان بن علي آل مشرف، انظر: البسام، علماء نجد، ج٢، ص ٣٦٦.

(٢) كانت أولى رحلات الشيخ إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، ومنها توجه إلى المدينة المنورة التي قضى فيها قرابة الشهرين، أما رحلته الثانية فكانت أيضًا إلى الحجاز، حيث أدى مناسك الحج مرة أخرى، ثم توجه إلى المدينة، وفي رحلته الثالثة توجه إلى البصرة ثم قصد الأحساء وخرج منها إلى حريملاء، انظر: السكاكر، الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص ٣١-٤٥.

(٣) الصواب أن والده اسمه عبدالوهاب، كما سبق توضيحه، وقد ولد في العيينة أواخر القرن الحادي عشر الهجري، وتولى قضاء العيينة ثم حريملاء التي توفي فيها سنة ١١٥٣، انظر: البسام، علماء نجد، ج ٥، ص ٤٠.

التجأ محمد إلى أسرته بني عبد الوهاب[1]، وهم من قبيلة تميم في العيينة[2]، وهناك لم يجد فقط الحماية، بل أيضًا أتباعًا لدعوته، ثم ما بث أن قام بتحطيم القبور والأشجار المقدسة، وأخرج خصومه من تلك لمنطقة، فهربوا إلى الأحساء، حيث وجدوا الحماية والعون عند سليمان بن محمد بن عريعر[3]، الأمر الذي ترتب عليه هروب[4] محمد بن عبد لوهاب مرة أخرى إلى البلدة الحصينة «الدرعية»[5].

كان حاكم الدرعية - آنذاك - محمد بن سعود بن محمد بن مقرن[6]، وآل سعود فخذ من المصاليخ من ولد علي من عنزة[7]. وقد كان أبوه سعود بن محمد رجلاً شجاعًا، تمكن من تحصين الدرعية، وأجبر سكان لواحات المحيطة على الاعتراف بسيادته عليها، وأبعد نفوذ ابن معمر حاكم

---

١) قد يكون قصد المؤلف أن الشيخ محمد التجأ إلى فخذه الوهبة، وليس (بني عبدالوهاب).

٢) انتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى العيينة في سنة ١١٥٤هـ.

٣) هو زعيم قبيلة بني خالد، تولى الزعامة بعد مقتل أخيه علي بن محمد سنة ١١٤٢هـ، وتوفي في الخرج سنة ١١١٦هـ، انظر: الوهبي، بنو خالد وعلاقاتهم بنجد، ص ٣٥٨.

٤) خرج الشيخ محمد من العيينة بسبب تهديد ابن عريعر لابن معمر بضرورة طرد الشيخ، وإلا سيقطع عنه المعونات الاقتصادية والتجارية من الأحساء.

٥) خرج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة إلى الدرعية في سنة ١١٥٧هـ، وهناك ناصر دعوته أميرها محمد بن سعود.

٦) تولى الإمام محمد بن سعود إمارة الدرعية في سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م.

٧) الصحيح أن آل سعود ينتمون إلى بني حنيفة من قبائل بكر بن وائل، ويلتقون مع عنزة في وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

العيينة عنها، وبذلك وضع الأساس لحكم عائلته التي أصبحت منذ ذلك الوقت تنسب إليه[1]. وعندما توفي سعود بن محمد في عام ١٧٢٤م[2]، وكان له من الأبناء أربعة هم: ثنيان ومحمد ومشاري[3] وفرحان، ومنهم تفرعت عائلة آل سعود. لقد اجتهد الأبناء الأربعة في المحافظة على إرثهم الأبوي وتوسيع نطاقه، فابنه الأكبر ثنيان كان قائدًا حربيًا بالفطرة، وكان البدو يلقبونه «أمير السرج»[4]، بينما تولى أخوه محمد تدبير أمور السياسة. وقد أدرك الأخوان أهمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي التجأ إليهم، وحينما التمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حاكم الدرعية محمد بن سعود أن يكون إمامًا للمسلمين، وأن يعمل على نشر عقيدة التوحيد، نظير أن يحصل على الخُمس وضريبة الزكاة[5]، قَبِل

---

(١) تولى الأمير سعود بن محمد بن مقرن إمارة الدرعية في سنة ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م، واستمر في الولاية حتى توفي - رحمه الله - في ليلة عيد الفطر من سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م، انظر: ابن بشر، سوابق عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١٥٣.

(٢) الصحيح أن وفاته توافق سنة ١٧٢٥.

(٣) توفي سنة ١١٨٩هـ. انظر: ابن بشر،عنوان المجد، ج١، ص ١٢٦.

(٤) وصف المؤلف ثنيان بن سعود بأنه قائد حربي بالفطرة فيه نظر، لأن ثنيان كان ضريرًا، ولكن بصيرته كانت متوقدة في نصرة أخيه محمد بن سعود رحمهم الله، انظر: ابن بشر،عنوان المجد، ج٢، ص ٢٢.

(٥) الزكاة ليست ضريبة، أما الخمس فلم يعرف أن الإمام محمد بن سعود فرضه على الناس.

محمد بن سعود بذلك[1]، ولكن الاعتراف به زعيمًا دينيًا ودنيويًا للدعوة الإصلاحية لم يتم إلا بعد وفاة أخيه ثنيان في عام ١٧٤٧م (١١٦٠هـ)[2].

لم يمض وقت طويل حتى اعترفت به أيضًا بلدان العيينة، وحريملاء والعمارية ومنفوحة، وبمساعدتها تمكن من مهاجمة الرياض والزلفي.

لقد أبدى حاكم الرياض دهام بن دواس[3] مقاومة شديدة، كما تحالف في عام ١٧٥٨م (١١٧٢هـ) مع دُجين بن عريعر[4] حاكم الأحساء، الذي حاصر مناطق محمد بن سعود بمساعدة قبيلته وقبيلة العجمان وعشيرة ابن هذال من عنزة ، ولكنه رجع في عام ١٧٥٩م (١١٧٣هـ) خائبًا، وبعد ثلاث سنوات اضطر حاكم الرياض[5] أخيرًا إلى الاعتراف بدعوة الشيخ محمد الإصلاحية، وبسلطان محمد بن سعود عليه. وبسبب تعاظم قوة محمد بن سعود في المنطقة أصبح في عام ١٧٦٤م (١١٧٨هـ) مهددًا بقيام تحالف ضده من قبل العجمان وقبائل حاكم نجران حسن بن هبة الله، الذين تمكنوا من هزيمة قائد جيشه عبد العزيز بن محمد بن

(١) نتج عن تأييد الإمام محمد بن سعود ونصرته لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب اتفاق تاريخي في سنة ١١٥٧هـ يعرف باسم "اتفاق الدرعية"، انظر: ابن بشر، عنوان المجد،ج١، ص ٤٢-٤٣.

(٢) ما ذهب إليه المؤلف هنا لم أجد له ما يسنده في المصادر.

(٣) هو : دهام بن دواس بن عبدالله آل شعلان، كان من ألد خصوم الدعوة الإصلاحية آنذاك، وقد استمر يحاربها ثماني وعشرين سنة، من ١١٥٩هـ إلى سنة ١١٨٧هـ. انظر: ابن غنام، تاريخ نجد، ج٢، ص ٨٤-٨٥.

(٤) الصحيح أنه تحالف مع عريعر بن دجين، الذي حكم من سنة ١١٦٦هـ حتى سنة ١١٨٨هـ. أما دجين بن عريعر فقد حكم من سنة ١١٩٨هـ وتقابل عام ١٧٧٥م.

(٥) أي دهام بن دواس.

سعود في معركة قامت بين الطرفين في الحاير[1]، واستطاعوا الاقتراب من الدرعية[2]. وهنا اعتقد دهام بن دواس حاكم الرياض المهزوم قبل فترة أن الوقت قد حان للقضاء على محمد بن سعود ثم إعلان نفسه سيداً على نجد، لذلك تحالف مع قبائل الظفير وقبائل بني خالد، فحاصر الدرعية من الشمال؛ ولكن حنكة محمد بن سعود القيادية أملت عليه التحرك بسرعة، فألغى اتفاقية الصلح المعقودة مع حاكم بلاد نجران البعيدة، وانقض بكل قوة على حاكم الرياض ملحقًا به هزيمة حاسمة.

توفي الإمام محمد بن سعود في شهر مارس من عام ١٧٦٥م (١١٧٩هـ) ، فبويع ابنه عبد العزيز من بعده[3]، الذي واصل نشر الدعوة الإصلاحية، واجتهد في مدّ نفوذه نحو الشمال، حيث كسب إلى صفه حمود الدريبي[4] حاكم بريدة في منطقة القصيم، كما حاصر عنيزة المنيعة آنذاك، دون أن يتمكن من دخولها، أما بلدان بريدة، والرس، والتنومة[5] فقد أصبحت في قبضته، الأمر الذي أتاح لمعلمي الدعوة

(١) الحاير : بلدة تقع جنوب مدينة الرياض، وقد كانت وقعة الحاير في سنة ١١٧٨هـ ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٩٢-٩٨.

(٢) تقدمت قوات حاكم نجران نحو الدرعية، ونزلت في الباطن عند قصر الغذوانة، ولكنها سرعان ما انسحبت بعد اتفاق بينها وبين الإمام محمد بن سعود، تقوم الدرعية بموجبه بدفع مبالغ مالية، ويتم تبادل الأسرى بين الطرفين، انظر: ابن بشر، عنوان المجد،ج١، ص ٩٥.

(٣) تولى الإمام عبدالعزيز بن محمد الحكم بعد وفاة والده في سنة ١١٧٩هـ.

(٤) كان ذلك في سنة ١١٨٢هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٠٦.

(٥) التنومة : بلدة في محافظة القصيم، تقع شمالي شرق بريدة، عند خط الطول ١٠َ ٤٤ْ وخط العرض ٥٠َ ٢٦ْ.

الإصلاحية الفرصة لكسب أتباعٍ كثيرين. وكان هؤلاء يسمون أنفسهم «الموحدين» أي، عبدة الإله الواحد، وأما خصومهم فقد كانوا يسمونهم «الوهابيين» نسبة إلى مؤسس الدعوة محمد بن عبد الوهاب.

بخلاف البلدان الثلاثة آنفة الذكر تحالفت بلدان القصيم كافة في عام ١٧٧٢م (١١٨٦هـ) لمحاربة السعوديين وقتالهم. ومن أجل إجبار البلدان الثلاثة (بريدة، الرس، التنومة) على التخلي عن ابن سعود عقدوا تحالفًا مع عريعر بن عريعر[١] زعيم بني خالد، ومع قبيلة الظفير، وبعض شيوخ عنزة وشمر فدخلوا بريدة، ولكنهم خرجوا منها بعد وفاة عريعر في الخوابي[٢] عام ١٧٧٣م[٣]. وفي العام نفسه ١٧٧٣م (١١٨٧هـ) تمكن عبدالعزيز بن محمد من فتح الرياض والقضاء نهائيًا على خصمه العنيد دهام بن دواس حاكم الرياض[٤]. ومنذ هذه اللحظة بدأت أنظاره تتجه نحو منطقة الأحساء، وبدأ يتدخل في شؤونها. وقد منحته أحداث الشغب بعد وفاة حاكم الأحساء عريعر بن دجين بن عريعر في عام ١٧٧٣م[٥] فرصة

(١) الصواب أنهم تحالفوا مع عريعر بن دجين.

(٢) الصحيح في الخابية، وهي بلدة تقع شمال شرقي بريدة في محافظة القصيم، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ١٢٢.

(٣) الصحيح أن وفاة عريعر كانت في شهر ربيع الأول من سنة ١١٨٨هـ الموافق شهر مايو ١٧٧٤م، انظر: الوهبي، بنو خالد وعلاقاتهم بنجد، ص ٣٥٩.

(٤) بعد تزايد نفوذ الدولة السعودية وقوتها لم يجد حاكم الرياض - آنذاك - دهام بن دواس بدًا من أن يهرب من الرياض بصحبة أسرته وبعض أنصاره، فدخلها الإمام عبدالعزيز من دون قتال في سنة ١١٨٧هـ. انظر: ابن غنام، تاريخ نجد، ج٢، ص ٨٤-٨٥.

(٥) الصحيح أن اسمه عريعر بن دجين بن سعدون، ووفاته كما سلف في عام ١٧٧٤م/ ١١٨٨هـ.

مناسبة، تلك الأحداث التي ترتب عليها استيلاء الابن الأكبر لعريعر (بطين) على الحكم، ولكنه ما لبث أن واجه معارضة من أخيه سعدون الذي تمكن من اغتياله في عام ١٧٧٧م[1].

ظل سعدون بن عريعر، الذي أصبح حاكمًا في منطقة الأحساء، ينظر بعين الحسد إلى قوة عبدالعزيز بن محمد ونفوذه المتزايد، فهو لم يترك أي فرصة مواتية لمحاولة إضعافه، لذلك سارع عندما قام تمرد في القصيم في عام ١٧٨٠م (١١٩٦هـ) ضد عبدالعزيز بن محمد إلى مساعدة أهل القصيم، فحاصر بريدة، ولكنه اضطر إلى العودة بعد سماعه نبأ تعرض إقليمه (الأحساء) لمهاجمة من قبل ثويني بن سعدون[2] شيخ قبائل المنتفق[3] الذي هاجم إقليم الأحساء بسبب عدم رضاه عن قيام سعدون بقتل أخيه بطين واستيلائه على الحكم. وقد تمكن ثويني من مهاجمة مناطق سعدون بن عريعر من جهة الشمال واستولى على البلدة تلو الأخرى. وعلى إثر ذلك اضطر ابن عريعر إلى طلب العون من عبدالعزيز بن محمد، ولكن عبدالعزيز بن محمد رأى أن دعم قوة حاكم الأحساء لا يخدم

(١) الأحداث هنا ليست دقيقة، لأن من تولى بعد عريعر هو ابنه الأكبر بطين الذي حكم حتى سنة ١١٨٩هـ، ثم تولى بعده أخوه دجين الذي لم يحكم سوى جزء من سنة ١١٨٩هـ، ثم حكم بعده سعدون من سنة ١١٨٩ إلى ١٢٠٠هـ، وهذا يقابل سنة ١٧٧٥م وليس كما ذكر المؤلف، للمزيد انظر: الوهبي، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ص ٣٥٩-٣٦٢.

(٢) الصواب ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع آل شبيب، وكان ذلك سنة ١٢٠٠هـ، حينما ثار دويحس بن عريعر على أخيه سعدون، وسانده ثويني بن عبدالله، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص ١١٩.

(٣) قبيلة تقطن العراق، والزعامة فيها لآل سعدون.

مصالحه، وخصوصًا أن عبدالعزيز بن محمد كان آنذاك يسعى إلى الحصول على منفذ على البحر، وهذا لن يتحقق بسهولة سوى من خلال منطقة الأحساء القريبة. تمكن ابن عريعر من البقاء في الأحساء ولكنه اضطر في عام ١٧٨٤م (١٢٠٠هـ) إلى الهرب والالتجاء إلى عبدالعزيز بن محمد في الدرعية التي مات فيها[١]. في هذه الأثناء تمكن عبدالعزيز بن محمد من ضمّ الجزء الجنوبي من الأحساء، وأما الجزء الشمالي منه فظل في يد شيخ المنتفق يحكمه باسم الدولة العثمانية.

وعلى إثر المناوشات الصغيرة بدأت الحرب بين الدولة السعودية والدولة العثمانية، ففي عام ١٧٨٤م[٢] زحفت قوات تركية تساندها المدفعية بقيادة ثويني بن سعدون[٣] من البصرة إلى مناطق نفوذ عبدالعزيز بن محمد سالكين طريق القوافل القديم عبر منخفض البطين حتى مشارف بلدة التنومة التي ظلت - آنذاك - على ولائها للدولة السعودية. وهناك انضم إليهم عدد من عشائر قبيلة شمر وآخرون من حاضرة بلدان إقليم القصيم وقراه، وبعد مقاومة طويلة فتحت التنومة أبوابها طواعية، ولكنها - على الرغم من ذلك - نهبت ودمرت أجزاء كثيرة منها. زحفت القوات المتحالفة - بعد ذلك - إلى بلدة بريدة التي كان بإمكانهم الاستيلاء عليها،

(١) ثمة اختلاف في تاريخ وفاته فبعض المصادر تذكر أنه مات في سنة ١٢٠٠هـ، وبعضها الآخر ١٢٠٢هـ. انظر: الوهبي، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ص ٣٦١؛ تاريخ الفاخري، ص ١٥١.

(٢) كان ذلك في شهر المحرم من سنة ١٢٠١هـ وتقابل عام ١٧٨٥م، انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٥١.

(٣) الصحيح ثويني بن عبدالله كما سلف ذكره.

ولكن خصوم ثويني بن سعدون[1] في البصرة ثاروا ضده، مما أجبره على التخلي عن محاصرة بريدة والعودة على وجه السرعة إلى الزبير، إذ تمكن من إخضاع المقاومة والاستيلاء على البصرة، ولكنه تلقى ضربة موجعة من حاكم بغداد[2] بالقرب من سوق الشيوخ[3] وسفوان[4]، فاضطر إلى الهرب عبر الجهراء[5] في الكويت إلى منطقة الصمان، وهناك رحبت بعض عشائر بني خالد بإقامته بينها. في هذا الأثناء تمكن عبدالعزيز بن محمد، حاكم الدولة السعودية، من فتح عدد كثير من بلدان الأحساء، واستطاع ضمّ بلدة عنيزة المحصنة في منطقة القصيم، وامتد سلطانه من جبال سلمى في الشمال إلى العقير على الخليج العربي[6].

استمر محاربو عبدالعزيز بن محمد بقيادة ابنه سعود يوجهون الغارات الخاطفة ضد مناطق عدد من القبائل التي لم تعترف بعد بالدعوة الجديدة وبسلطانه عليها، ومن بين من أُغير عليهم - آنذاك - مجموعات ممن كانوا يدفعون الزكاة لشريف مكة[7]، الأمر الذي جعلهم يشتكون

(١) الصحيح ثويني بن عبدالله.

(٢) كان حاكم بغداد - آنذاك - سليمان باشا، انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٥١.

(٣) سوق الشيوخ: موضع في جنوب العراق يقع جنوبي شرق السماوة.

(٤) سفوان، أو صفوان : وهو بالسين أفصح، موضع على الحدود العراقية الكويتية، يقع في جنوب العراق، وشمالي غرب الكويت.

(٥) الجهراء: مدينة تقع شمال الكويت، وتبعد عن مدينة الكويت نحو ٢٩كم.

(٦) عن هذه الأحداث التاريخية انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٥٨-١٦٢.

(٧) شريف مكة - آنذاك - هو مسعود بن سعيد، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ١٢٥.



أطلال الدرعية

عبدالعزيز بن محمد عنده. فقام الشريف بإصدار أمر يمنع الحجاج الذين يمرون عبر مناطق عبدالعزيز بن محمد من القدوم إلى مكة، فترتب على ذلك أضرار مادية جمة لحقت بالدولة السعودية، لأن قوافل الحجاج القادمة من الخليج العربي والعراق كانت منذ عام ١٧٦٩م (١١٨٣هـ) تمر عبر أراضيه فتحقق بذلك فوائد لمواطنيه.

لقد علل الشريف تصرفه بمنع الحجاج القادمين عبر أراضي الدولة السعودية إلى مكة بقوله: إن أتباع عبدالعزيز بن محمد ليسوا على الإسلام الصحيح، ويجب حماية الحجاج من الاختلاط بهم[١]. في هذه الأثناء أرسل عبدالعزيز بن محمد عالمًا بأمور الدين إلى مكة[٢] يحمل رسالة مفصلةً عن الدعوة الإصلاحية الجديدة، أعدها مؤسسها محمد بن سليمان[٣] بن عبد الوهاب، لكي يجهر بالدفاع عن الدعوة الإصلاحية في مكة، ولكن ذلك الفقيه مُنع من الظهور أمام الملأ للجهر بشرح الدعوة الجديدة، وهكذا فإن الوهابيين في عيونهم[٤] أعداء الدين الصحيح، الأمر الذي جعل الشريف يعلن الحرب المقدسة ضدهم.

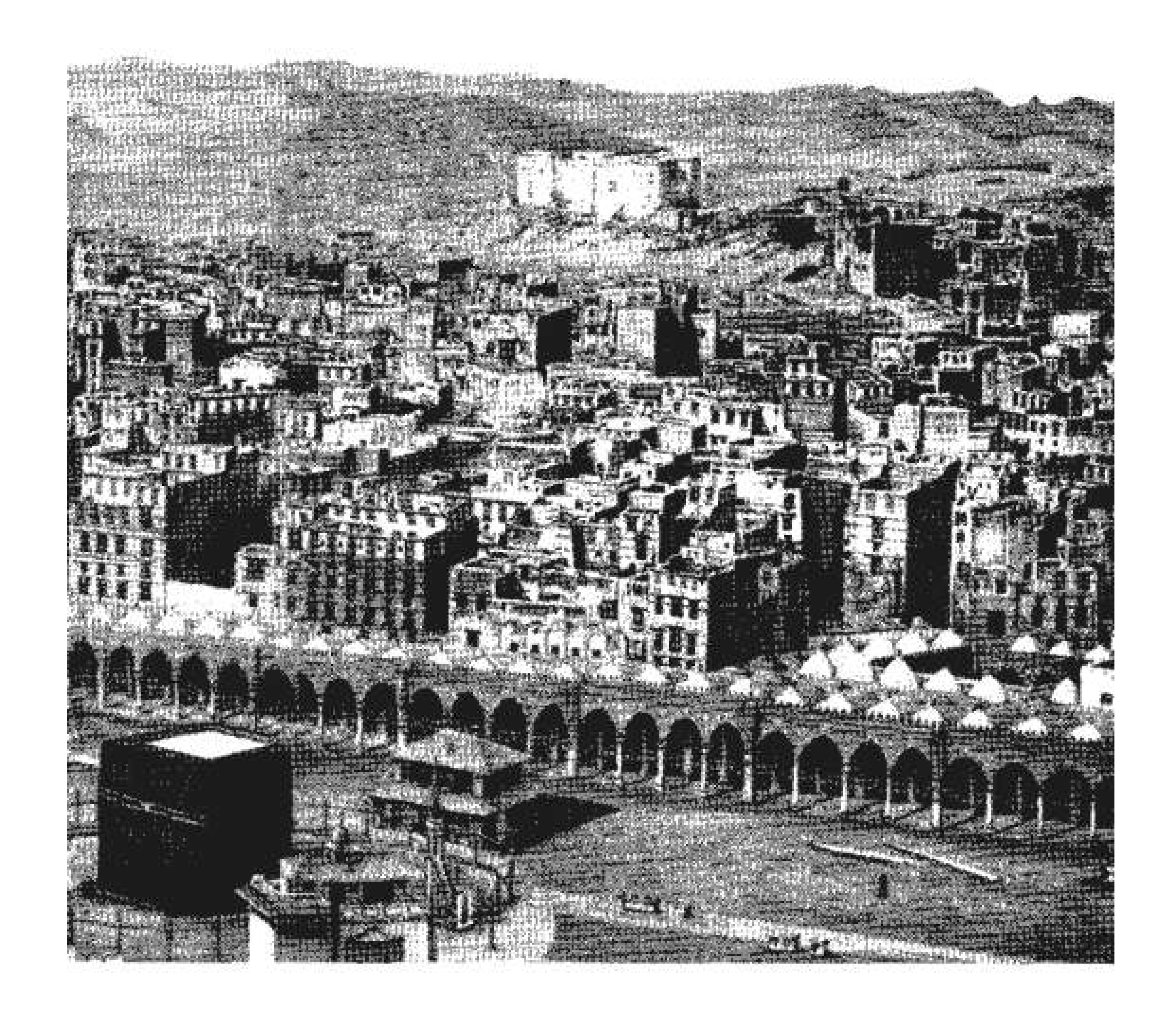
---

(١) كان السبب الصحيح لذلك هو عداوة الأشراف في الحجاز للدعوة السلفية في نجد.

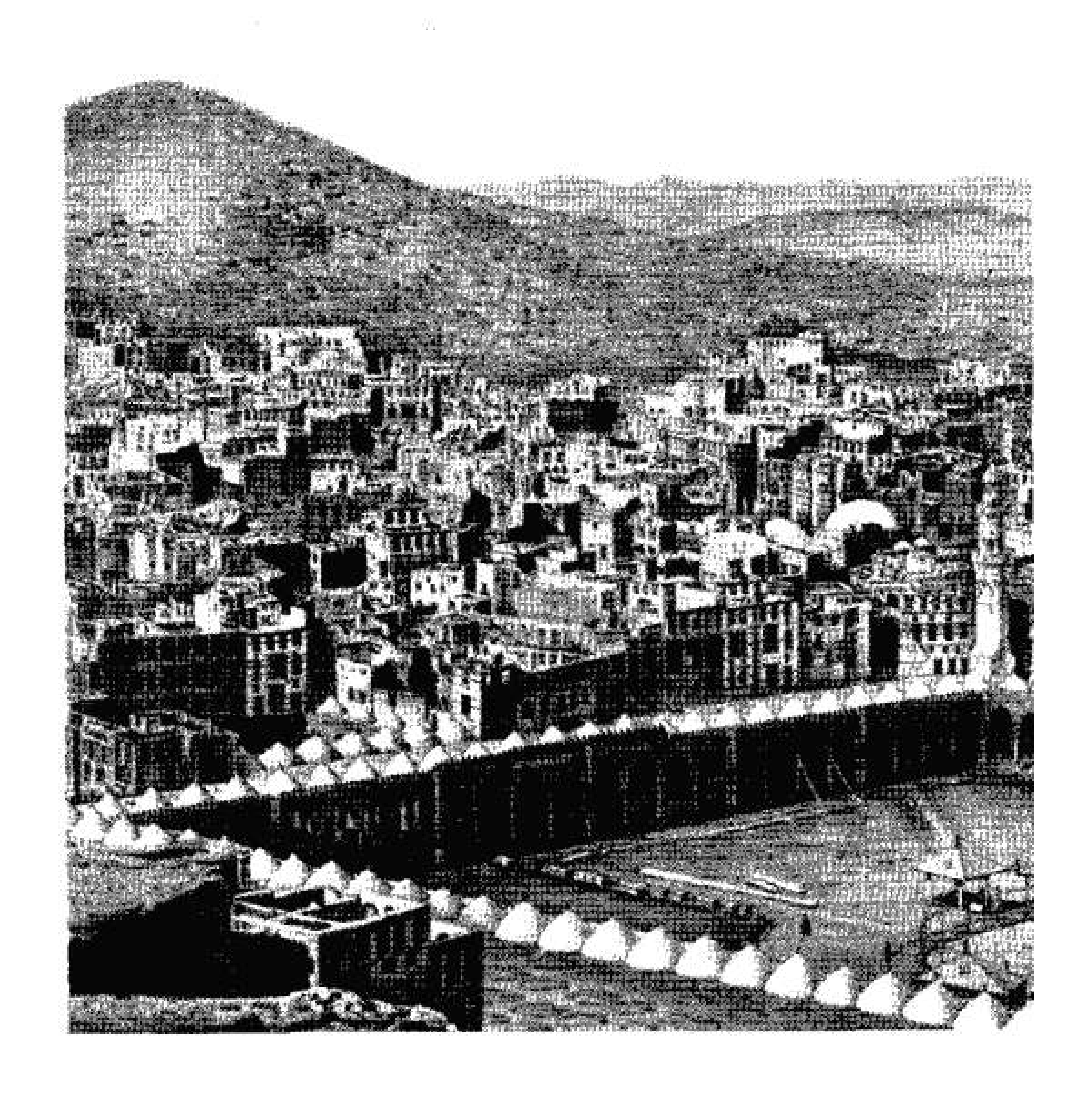
(٢) العالم الذي أرسل إلى مكة هو الشيخ عبدالعزيز بن حصين، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص ١٨٣.

(٣) يستمر المؤلف هنا باعتقاده أن سليمان هو أبو الشيخ محمد، ولكن الصواب أنه جده.

(٤) كان علماء مكة قد أصدروا منذ زمن فتوى بوجوب قتال الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه إن لم يعدلوا عن رأيهم، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ١٢٧-١٢٨.



مكة المكرمة عام ١٨٨٤ م



تحركت قوات الشريف بقيادة أخيه[1] ضد عبدالعزيز بن محمد عام ١٧٩٠م (١٢٠٥هـ) ، وانضمت إليهم عشائر مختلفة من قبائل هتيم، والعوازم، ومطير، وشمر، وكان يحدوهم أمل بالاستيلاء السريع على العاصمة الدرعية والقضاء على قوة عبدالعزيز بن محمد نهائيًا، ولكن بلدان السر التابعة للدولة السعودية قاومتهم ببسالة، الأمر الذي اضطرهم إلى طلب مزيد من المقاتلين والسلاح المتطور من مكة، فقدمت قوة جديدة من مكة بقيادة الشريف غالب نفسه، بيد أنه لم يتمكن أيضًا من دخول السر، وعندما علم أن عبدالعزيز بن محمد وقائد جيشه[2] يلتف في هذه الأثناء عليه من الخلف لكي يقطع عليه طريق العودة إلى مكة اضطر الشريف غالب إلى الهرب على وجه السرعة، وعلى إثر ذلك قام سعود، الابن المحارب لعبدالعزيز بن محمد حاكم الدولة السعودية بتأديب جميع القبائل التي ناصرت الشريف، فأغار في بداية عام ١٧٩١م (١٢٠٥هـ) على قبيلة مطير وشمر في بلدة العدوة[3]، فكسرهما وأجبر قبيلة شمر على التراجع إلى الشمال حيث جبال أجأ ورمال النفود الكبير. كما تعقب قبيلة مطير في نهاية عام ١٧٩١م (١٢٠٥هـ) وهزمهم عند الحناكية[4]

---

(١) المراد عبدالعزيز أخو الشريف غالب، انظر تفاصيل ذلك عند: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ١٧٣.

(٢) كان جيش الإمام عبدالعزيز بن محمد بقيادة ابنه سعود.

(٣) العدوة: منهل ماء يقع في جبال شمر جنوب مدينة حائل، عند التقاء خط الطول ٠٥َ ٤٢ْ وعند دائرة العرض ١٢َ ٢٤ْ. وعن هذه الوقعة انظر : تاريخ الفاخري، ص ١٥٣.

(٤) الحناكية: بلدة تقع شرقي محافظة المدينة المنورة، عند خط الطول ٣٠َ ٤٠ْ وخط العرض ٥٢َ ٤٢ْ.

والشقرة[1] اللتين تبعدان نحو (٦٠٠كم) غرب الدرعية، مما اضطرهم إلى الفرار هاربين إلى جبال السوارقية[2] التي هيأت لهم بطبيعتها الوعرة مأوىً آمنًا.

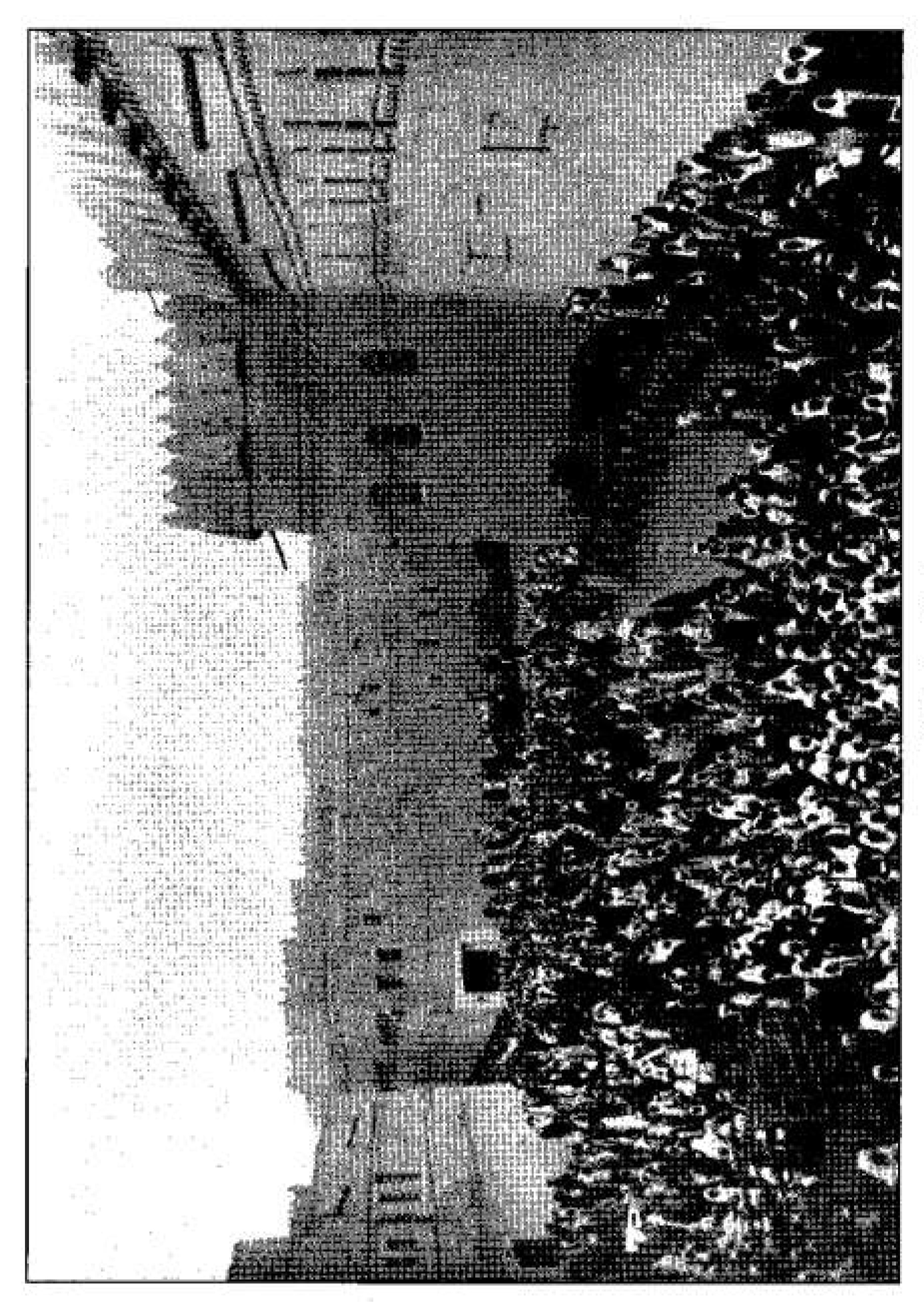
اتضح الآن لمؤسس الدعوة الإصلاحية محمد بن عبد الوهاب، قبل وفاته في ١٤ يونيو ١٧٩١م (١٢٠٦هـ)، أن دعوته أصبحت من خلال محاربي الإمام عبدالعزيز بن محمد معروفة في أغلب أرجاء جزيرة العرب. فقد قدم إلى الدرعية عدد كثير من طلاب العلم من أماكن بعيدة في جزيرة العرب لكي يتعلموا علوم الدين على أيدي علماء الدعوة الاصلاحية، لذا فقد تمتع محمد بن عبدالوهاب خلال حياته بتقدير فاق شهرة الإمام نفسه، ولكن بعد وفاته انتقل النفوذ والمكانة الدينية إلى شخص الإمام، الذي أصبح هو الزعيم الديني والسياسي للدعوة الإصلاحية، أما أبناء محمد بن عبد الوهاب فقد عملوا فقهاء في الدرعية وأماكن أخرى من دون أن يمارسوا أي نفوذ سياسي.

انتصر سعود ابن الإمام عبد العزيز في عام ١٧٩٢م (١٢٠٧هـ) على حاكم الأحساء وبني خالد عند منهل اللصّافة[3] على الطريق الممتد بين

(١) الشقرة: مورد ماء يقع غرب الحناكية عند التقاء خط الطول ١٦َ ٤٠ْ، وعند دائرة العرض ٥٥َ ٢٤ْ.

(٢) السوارقية: قرية تقع بالقرب من المدينة المنورة، على خط العرض ٤٧ً ١٩َ ٢٣ْ وخط الطول ٣٠ً ١٩َ ٤٠ْ.

(٣) تعرف هذه الوقعة أيضًا باسم وقعة الشيط، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٠٢؛ وهو منهل ماء يقع في أعالي الشيطبن في مفيض فيصل، شمال القرعاء، عند خط الطول ٤٧ ٤٦ْ وخط العرض ٤٠ ٢٥، انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (المنطقة الشرقية)، ج ٤، ص ١٥٣٦ - ١٥٣٨.



الرياض عام ١٩٣٦م

الكويت والقصيم، ومن هناك زحف نحو بلدة الهفوف، وعندما وصل بلدة عين نجم الصغيرة وجد ممثلين من أهالي الهفوف والمناطق الأخرى ينتظرونه لإعلان مبايعتهم له، فدخل الهفوف وأمر ببناء حصن الكوت، وعلى هذا النحو بعدما فتح منطقة الأحساء كلها أرسل في عام ١٧٩٣م (١٢٠٨هـ) محاربين من القصيم ومن قبيلة شمر بقيادة محمد بن معيقل[1] صوب البلدان الواقعة في منخفض الجوف على الحدود الشمالية لرمال النفود الكبير. وهناك واجهوا مقاومة عنيدة من قبل أهالي الجوف، إلا أنهم اضطروا في النهاية إلى الاستسلام ومبايعة الإمام عبدالعزيز بن محمد[2].

أما سعود ابن الإمام عبد العزيز فقد زحف نحو منطقة الخرج والفرع ووادي الدواسر الواقعة جنوب الدرعية، وتمكن من الوصول إلى عمان وعسير ثم كر عائدًا بغنائم وفيرة.

قامت في هذه الأثناء فيالق من جيش عبدالعزيز بن محمد بغارة على القرى البابلية[3]، مما جعل سكانها يرفعون شكواهم إلى حاكم بغداد. كما قام أيضًا عدد من شيوخ القبائل المطاردين من قبل عبدالعزيز بن محمد بغارات مماثلة، وكانوا يبررون أعمال النهب تلك بقولهم: إن عبدالعزيز بن

---

(١) أحد قادة الجيش السعودي، كلف منذ سنة ١٢٠٥هـ حتى سنة ١٢٢٤هـ بقيادة عدد من الغزوات في أنحاء متفرقة من الدولة السعودية، انظر: العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص ١٨٨.

(٢) حول هذه الأحداث التاريخية، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) يطلق المؤلف على العراق اسم بابل، نسبة إلى مملكة بابل القديمة في العراق.

محمد عاقد العزم على الاستيلاء على البصرة وبغداد، وهم بذلك يقصدون إثارة سوء الظن عند حاكم بغداد ضد الدولة السعودية.

وهذا ما جعل حاكم بغداد سليمان باشا يستعين بشيخ المنتفق ثويني بن عبد الله السعدون على الرغم من أنه طرده قبل مدة قصيرة. وهكذا زحف ثويني السعدون يعاضده جنود أتراك وبعض المتطوعين من البصرة والزبير وعشائر بني خالد والظفير والمنتفق في عام ١٧٩٦م (١٢١١هـ) نحو الأحساء، وأقاموا معسكرًا عند الجهراء، ومن هناك أمر بحمل المدافع على السفن لتنقلها إلى القطيف[١].

وبكل تأكيد فإن عبدالعزيز بن محمد لم يكن مستعدًا للتخلي عن الأحساء الغنية بالموانئ من دون أي مقاومة، لذلك أمر عشائر مطير وسبيع والعجمان وقحطان والسهول لكي يخيموا في مراعي مناطق بني خالد، أي أن ينتقلوا إلى الأحساء، وقد قصد عبدالعزيز بن محمد من هذا الإجراء تأمين مناهل الآبار ومخازن التموين من خلال إقامة تلك العشائر فيها. في هذه الأثناء زحف فيلق قوي من جيشه بقيادة محمد بن معيقل عبر طريق نباج صوب الجهراء، بينما انطلقت القوات الرئيسة من جيشه بقيادة عبدالعزيز بن محمد نفسه من الدرعية باتجاه الشمال عبر روضة التنهات في منطقة الدهناء إلى حفر العتك[٢]، وفي

(١) انظر تفصيل هذه الأحداث التاريخية عند: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٢٥.

(٢) حفر العتك: منهل ماء يقع على مسافة مائة وخمسين كيلو مترًا شمال الرياض، عند خط الطول ٣٠َ ٤٦ْ وخط العرض ٥٧َ ٢٥ْ.

أم ربيعة[1] التقت مع القوى الأخرى بقيادة ابن معيقل، وقد كان عبدالعزيز بن محمد بذلك يريد إجبار ثويني على الزحف نحو الجنوب باتجاه منطقة الساحل، ثم قطع طريق العودة عليه.

لم يلتحم الجيشان، ففي بداية عام ١٧٩٨م (١٢١٢هـ) اغتيل ثويني من قبل خدمه[2]، وبذلك لم تجد القوات المتحالفة التي لم تكن موالية لأخيه وخليفته ناصر بدًا من الهرب على وجه السرعة، وانتقل جزء منها إلى صفوف عبدالعزيز بن محمد. تعقب عبدالعزيز بن محمد فلول الهاربين حتى مشارف البصرة، ثم واصل زحفه إلى الأمام على الجانب الأيمن من نهر الفرات، فأغار على عدد من القرى هناك. وعندما قارب السماوة[3] كرَّ عائدًا. وظنًا منه أن العشائر التي أغار عليها سوف تتعقبه؛ قام بتأمين الغنائم، وعسكر مع بعض فيالق جيشه في الوقوبة، وعندما لم يحدث ذلك، أغار من جديد على مخيمات مربي الماشية بالقرب من الفرات الواحد تلو الآخر حتى طريق الحجاج القادم من بابل[4] وعاد من هناك بالغنائم.

---

(١) ام ربيعة: بلدة تقع شمال عريعرة، على خط الطول ٥١َ ٤٨ْ وخط العرض ٢٠َ ٢٦ْ.

(٢) كان مقتله في أول شهر المحرم من سنة ١٢١٢هـ، من قبل خادم له يدعى طعيس، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٢٨.

(٣) السماوة: بلدة تقع جنوب العراق، في محافظة المثنى.

(٤) المراد من بغداد.

وعلى الرغم من ذلك لم يتخل سليمان باشا عن مُراده، بل إنه يريد الآن أن يهدد عبدالعزيز بن محمد وتحديداً من الأحساء، أو يقضي عليه، لذلك جهز في عام ١٧٩٩م جيشًا جديداً سار بقيادة علي[١] عبر الطريق الممتد إلى الأحساء. وعلى الرغم من أن أهالي البلدان المطلة على ساحل الخليج والمبرز والهفوف انضموا إلى القوات التركية، إلا أن حاميات الدولة السعودية في الأحساء التي يذود عنها رجال من منطقة الخرج[٢] دافعوا عن الحصون في المبرز وفي الهفوف، الأمر الذي حال دون استيلاء قائد الجيش العثماني عليًا عليها. وعندما تناقصت الذخيرة وقلَّ الغذاء بين أفراد قواته، وبعد حصوله على هدايا[٣] ثمينة من الوسطاء بينه وبين عبدالعزيز بن محمد، عاد خائبًا من الأحساء.

تزايدت شهرة الدولة السعودية بشكل كبير، فبعد انتشار خبر هذا الانتصار طلب شريف مكة غالب[٤] عقد معاهدة سلام مع عبدالعزيز بن محمد، كما أذن للقوافل المارة عبر أراضيه دخول مكة، ليس ذلك فحسب، بل إنه كان مستعداً للاعتراف بالسعوديين ودعوتهم الإصلاحية. وهكذا

---

(١) كان ذلك في سنة ١٢١٣هـ، وعليٌّ هذا هو: هو علي الكيخيا، أحد قادة الجيش العثماني في العراق، انظر، تاريخ الفاخري، ص ١٦١.

(٢) يذكر ابن بشر أن من كان يدافع عن قصر المبرز رجال أكثرهم من نجد مع الشجاع الماجد سليمان بن محمد بن ماجد الناصري، انظر: ابن بشر عنوان المجد، ج١، ص ٢٥٢.

(٣) لم أجد في المصادر المحلية ما يشير إلى تقديم الهدايا لقائد الجيش العثماني.

(٤) هو : غالب بن مساعد بن سعيد بن أبي نمي، تولى شرافة مكة في سنة ١٢٠٢هـ.

وجد الشريف نفسه مجبرًا على اتخاذ مثل هذه الإجراءات، فقد أصبح عبدالعزيز بن محمد يسيطر الآن على جميع طرق الحج المؤدية إلى مكة، ما عدا تلك القادمة من جدة إلى مكة، الأمر الذي جعله يتحكم بنفسه برخاء مكة ومواردها.

في تلك الأثناء رافق سعود، ابن حاكم الدولة السعودية[1]، أول حملة حج إلى مكة والمدينة[2]، وكرر ذلك في عام ١٨٠١م (١٢١٥هـ)[3]. كانت قافلة الحج الإيرانية التي يتولى محاربو عبدالعزيز بن محمد تأمين الحماية لها ولأول مرة قد تعرضت وهي في طريق عودتها لهجوم وسلب من قبل أتباع حاكم بغداد[4]، وعلى إثر ذلك وجه سعود غاراته ضد عدد من القرى الواقعة غرب الفرات، وأغار في ٢٠ أبريل ١٨٠١م (ذي القعدة ١٢١٦هـ) على كربلاء، مدينة الشيعة المقدسة، فغنم الكنوز المكدسة منذ قرون عند قبر الحسين، وفي طريق عودته قسَّم الغنائم الوفيرة عند حصن القرامطة الأخيضر[5]، ومن هناك رجع بمحاذاة الفرات، فأغار على القرى الواقعة بين النجف والزبير، وتوجه عبر طريق الحج من البصرة إلى الدرعية.

---

(١) أي الإمام عبدالعزيز بن محمد.

(٢) كان ذلك في سنة ١٢١٤هـ، انظر: تاريخ الفاخري، ص١٦١.

(٣) انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٦١-١٦٢.

(٤) حاكم بغداد في تلك الأثناء هو سليمان باشا المعروف بالكبير، وقد حكم من سنة ١١٩٤ إلى سنة ١٢١٧هـ (١٧٨٠ - ١٨٠٣م).

(٥) المعروف كما ورد عند ابن بشر أن تقسيم الغنائم كان عند الماء المعروف باسم الأبيض، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٥٨.

لقد أجْبَرت قوات الدولة السعودية في نهاية خريف العام نفسه بلدان الساحل الواقعة بين العقير ورأس الخيمة، وكذلك في مناطق عُمان البعيدة على دفع الزكاة.

وعندما رأى الشريف[1] أن الدولة السعودية آخذة في الامتداد في مناطق مكة بصورة مستمرة، بدأ يبحث عن حلفاء لكي يتمكن بمساعدتهم من القضاء على حاكم الدولة السعودية، أو حماية نفسه منه، ولكن هذا وذاك لم يتحقق له، فقد فاجأه عبدالعزيز بن محمد في نهاية عام ١٨٠٢م (١٢١٧هـ) قبل أن ينهي استعداداته، الأمر الذي اضطره إلى تسليم مكة في نهاية شهر أبريل ١٨٠٣م (١٢١٨هـ)[2]، وبعد عام سلَّم المدينة[3].

أصبحت الأماكن المقدسة، والكعبة وقبر الرسول ﷺ في يد الدولة السعودية. وفي بادئ الأمر قُدرت مشاعر سكان مكة والمدينة المنورة، ولكن الدولة السعودية بعد أن أُجبرت على إخضاع مكة مرة أخرى في ربيع عام ١٨٠٦م[4]، قاموا بأخذ الكنوز المحفوظة، وحطموا الحجر الأسود، وانتهكوا

(١) أي الشريف غالب.

(٢) انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٦٣.

(٣) أعلنت المدينة المنورة ولاءها للإمام سعود بن عبدالعزيز في سنة ١٢٢٠هـ. انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١،ص ٢٨٨.

(٤) بعد عودة قائد الجيش السعودي الأمير سعود بن عبدالعزيز من مكة إلى الدرعية رجع الشريف غالب، الذي كان آنذاك في جدة إلى مكة، وتمكن من إخراج الحامية السعودية منها، ولكن الأمير سعود بن عبدالعزيز الذي بويع بعد اغتيال والده - يرحمه الله - إمامًا للدولة السعودية في سنة ١٢١٨هـ تحرك بقواته من جديد إلى مكة، فأعلنت ولاءها له في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م.

حرمة قبر محمد[1].

في هذه الأثناء، وتحديداً في ٦ نوفمبر عام ١٨٠٣م اغتيل الإمام عبدالعزيز في مسجد الطريف في الدرعية من قبل أحد الشيعة[2]، فخلفه من بعده ابنه سعود[3] الذي كان يقود المعارك الحربية للدولة السعودية منذ

(١) إدعاء غير مقبول من المؤلف ولا يستند إلى دليل، فقبر محمد عليه الصلاة والسلام ليس في مكة المكرمة بل هو في المدينة المنورة، أما ما قام به الجيش السعودي آنذاك فلا يتعدى سوى إزالة كل ما كان مخالفًا لتعاليم الدين الإسلامي، ومنع الممارسات المرفوضة في الشريعة الإسلامية، وقد أشار إلى ما حدث - آنذاك - المستشرق والرحالة الهولندي سنوك هورخرونيه الذي زار مكة في سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٥م بقوله: «دخل الأمير سعود مكة في احتفال بهيج، و قدم الشريف عبدالمعين وعلماء المدينة البيعة للأمير الجديد، الذي ألقى خطبة أمام الجماهير المحتشدة، وهكذا كان لسيف الأمير الجديد الفضل الأكبر في العودة إلى منابع الدين الصحيح، وكان أهل مكة فيما تلا ذلك من أيام يمدون يدّ العون للحاكم الجديد ليقوم بتحطيم جميع القباب المقامة على المزارات والقبور وإزالتها، وجمع غلايين التبغ، والآلات الموسيقية التي كومت ثم أحرقت، كما منعت ألفاظ التمجيد البدعية كافة، سواء في الدعاء في أثناء الصلاة أو في المناسبات الأخرى». انظر: سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ص ٢٦٦.

(٢) بسبب ما قامت به جيوش الدولة السعودية من هدم القباب على المقابر ومنع الممارسات المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي في كربلاء والنجف قدم شخص من أهل العمارة في العراق إلى الدرعية وتمكن في العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ من اغتيال الإمام عبدالعزيز وهو يصلي الفجر في مسجد الطريف، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٦٤.

(٣) ولد الإمام سعود بن عبدالعزيز في الدرعية سنة ١١٦١هـ، وبويع بولاية العهد في سنة ١٢٠٢هـ، وتولى الحكم بعد وفاة والده في سنة ١٢١٨هـ، وتوفي - رحمه الله - في سنة ١٢٢٩هـ.

عشرات السنين. وبعد توليه الحكم نقل قيادة القوات الصغيرة إلى ابنه الأكبر عبد الله الذي قام على الفور بغزو القبائل المستوطنة شمال مكة، وكذلك في واحة خيبر، كما أقلق الحدود مع عُمان.

رحل في الخريف[1] السيد سلطان[2]، إمام مسقط من عمان إلى البصرة كي يبرم حلفًا مع الحكومة التركية ضد خصمه سعود بن عبدالعزيز. لقد تمت المحادثات بينه وبين مبعوث حاكم بغداد في قرية الجابدة، واعترف بتبعيته للحكومة العثمانية التي وعدته مقابل ذلك بتقديم المساعدات الفعالة في هذا الشأن. وعن طريق هذا الاتفاق اتسع النفوذ التركي ليشمل جميع ممتلكات إمام مسقط الواقعة في شبه الجزيرة العربية وفي بلاد فارس وفي شرق أفريقيا، وهذا التوسع العثماني في المنطقة كان بالتأكيد لا يتفق مع مصالح بريطانيا التي كانت في ذلك الوقت ترعى مصالحها في الخليج العربي بكل همة، لذلك يجب على إمام مسقط أن ينتهي، وهذا ما تم فعلاً، فخلال رحلة إيابه إلى مسقط تعرضت السفينة المقلة له لقراصنة البحر فقتلوه. وبعد رحيله تمت المصالحة بين خليفته بدر والإمام سعود بن عبدالعزيز.

(١) أي في خريف سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م.

(٢) هو : السيد سلطان بن أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي، تاريخ ميلاده غير محدد، أما وفاته ففي الثالث عشر من شعبان سنة ١٢١٩هـ الموافق ١٠ نوفمبر عام ١٨٠٤م، انظر: الزركلي، الأعلام، ص ١٠٩؛ ويجدر التنبيه إلى أن كتاب: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، لحميد بن محمد بن زريق بن بخيت، تحقيق: عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، ط ٥، مسقط ١٤٢٢هـ، ص ٣٨٨، أرّخ وفاته خطأ في ١٣ شعبان سنة ١٢١٧هـ، ولعله خطأ طباعي.

وتنفيذاً لاتفاقية إمام مسقط، شرعت الحكومة العثمانية في نهاية عـام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ) في إرسـال قـوات من بابل[١] ضـد سـعـود بن عبدالعزيز، وقامت إحدى وحداتها بمحاصرة حصن عين السيِّد[٢] (الرحبة قديمًا) التي ضمها السعوديون قبل حين، ولكن العثمانيين سرعان ما عادوا إلى بغداد إثر خبـر مقتل إمام مسقط ومعرفتهم بتقدم قوة كبيرة من الجيش السعودي. لقد تقدم السعوديون عبر طريق الحجاج المؤدي إلى البصرة، وأغاروا على معسكر شيخ قبيلة المنتفق حمود بن ثامر بن سعدون[٣]، ودخلوا بلدة الدريهميَّة بالقرب من الزبير، كما غنموا الكثير من السكان القاطنين على الضفة اليمنى لنهر الفرات حتى جبال هيت[٤]، ثم عادوا عبر الطريق نفسه.

أغارت في العام نفسه وحدات من القوات السعودية على الحدود السورية، وغنموا المنطقة المجاورة لحلب، وفي بادئ الأمر أرغموا جميع قبائل البادية في شمال الجزيرة العربية على دفع الزكاة. ومنذ مطلع عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) جُبيت الزكاة أيضًا من جميع القرى الواقعة على طريق الحج الشامي من معان[٥] إلى حلب.

---

(١) أي من بغداد.

(٢) عين السيد: ماء على طريق الحج الكوفي (درب زبيدة)، يقع على مسافة ٣٥ كم جنوبي النجف، ويسمى اليوم العذيب.

(٣) عينه سليمان باشا حاكم العراق بعد مقتل أخيه ثويني في سنة ١٢١٢هـ الموافق ١٧٩٧م.

(٤) هيت : بلدة في العراق تقع في محافظة الأنبار.

(٥) معان : مدينة في الأردن، وهي مركز محافظة معان.

ظهر في شهر أبريل من عام ١٨٠٦م عبد الله ابن الإمام فجأة أمام النجف التي تعد ثاني أقدس مدينة شيعية، وتسلق بعض محاربيه بواسطة السلالم السور المرتفع، ولكنهم سرعان ما هزموا[١]. وقبل عودتهم إلى بلادهم عبر طريق حجاج البصرة أغاروا على السماوة والزبير.

لم تكن بلدان وسط الفرات بمنأى عن غارات الجيش السعودي؛ ففي منتصف شهر يوليو من عام ١٨٠٧م (١٢٢٢هـ) أغاروا على هيت وعانا[٢] وأماكن أخرى هناك، كما عبروا الفرات وغنموا من رعاة الماشية القاطنين على ضفاف نهر الخابور.

زحف الجيش السعودي في عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ)[٣] إلى البصرة، وحاصروا الهنديّة[٤]، وعين السيد، ودخلوا واحة شفاثة[٥] ونصبوا فيها حاكمًا مواليًا لهم. وبعد رحيلهم تمكن الجيش العثماني المرابط في كربلاء من استعادتها وقتل عددٍ كبيرٍ من أتباع سعود بن عبدالعزيز.

---

(١) كان ذلك في سنة ١٢٢١هـ، انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٦٦؛ ويذكر ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٨٩، الذي يؤرخ لهذه الغارة في أحداث سنة ١٢٢٠هـ أن القوات السعودية لم تتمكن من دخول المشهد لأن دونه خندق عريض وعميق.

(٢) عانا : مدينة في العراق، تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات.

(٣) انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٦٧.

(٤) الهندية : منطقة تقع جنوب غرب كربلاء عند التقاء خط الطول ٤٣َ ٤٠ْ وعند دائرة العرض ٣٠َ ٣٢ْ.

(٥) الصحيح أشثاثا، هكذا جاء اسم البلدة في تاريخ الفاخري، ص ١٦٧.

تحرك سعود بن عبدالعزيز مرة أخرى في نهاية عام ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) نحو بغداد، ولكنه في هذه المرة سار عبر طريق الحج الكوفي، وقد أراد في البداية تأديب القبائل الخاضعة لحاكم بابل[١] القاطنة على مناهل الزبالة[٢] والجميمة[٣]، وبعد أن تحقق له ما أراد ترك المسير عبر طريق الحجاج وتوجه إلى كربلاء، وأغار على شفاثة[٤] والسماوة، والمنطقة المحيطة بسوق الشيوخ والبصرة. وفي بداية شهر يوليو من عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) زحفت قوة سعودية إلى الجوف، واتجهت عبر وادي السرحان فأغارت على المزيريب[٥] وحوران[٦] والبلقاء[٧] في بلاد موآب[٨] القديمة[٩].

---

(١) المراد بغداد.

(٢) الزبالة : ماء على طريق الحج الكوفي (درب زبيدة)، يقع على مسافة ٣٨ كم جنوبي مدينة رفحاء.

(٣) الجميمة : ماء على طريق الحج الكوفي (درب زبيدة)، يقع على مسافة ١٤كم شرق مدينة رفحاء.

(٤) الصواب أشثاثا كما تقدم ذكره.

(٥) المزيريب : بلدة في سوريا، تقع على طريق الحج الشامي.

(٦) حوران : هضبة بركانية تقع جنوب دمشق وشرق الجولان.

(٧) البلقاء : اسم محافظة في الأردن مركزها مدينة السلط.

(٨) موآب : اسم تاريخي قديم للمنطقة الواقعة شرق البحر الميت، ما بين وادي الحسا ووادي الموجب في الأردن، وينسب إليها الشعب الموآبي الذي تمكن منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد من تأسيس مملكة قوية، يُعد ميشع من أبرز حكامها.

(٩) انظر تفاصيل هذه الأحداث التاريخية عند: ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٣٠٩-٣١٠.

كان اهتمام سعود بن عبدالعزيز منصبًا خلال هذه الفترة على الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب، ففي اليمن وفي عسير، كما في حواضر المنطقة الساحلية مثل المكلا[1] حظيت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية بأتباع كثيرين، وقد مهّد هؤلاء الأتباع الطريق لإمامهم الديني والسياسي، الإمام سعود بن عبدالعزيز. وهكذا استغل سعود بن عبدالعزيز الفرصة كما ينبغي، حيث فتح مزيدًا من المناطق وأجبرها على الاعتراف بتبعيتها له.

أصبحت في عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) مناطق عسير والجزء الشمالي من اليمن، ونصف الجزء الغربي من عمان تابعة للدولة السعودية، كما تمكن في هذه الأثناء من إجبار شريف مكة[2]، والذي كان آنذاك يقيم في جدة، على التبعية له.

ونظرًا لأن مكة والمدينة كانتا منذ عام ١٨٠٦م (١٢٢٠هـ) تابعتين لسعود بن عبدالعزيز، فقد أصبح يلقب «خادم الحرمين الشريفين» وبذلك فهو إمام جميع المسلمين، إذ إن من تتبع له مكة والمدينة يكون قد حقق أول شروط استحقاق لقب الخليفة.

وصل في هذه الأثناء سلطان سعود بن عبدالعزيز إلى ذروته، لقد أصبحت جزيرة العرب كلها ليس اسميًا فقط وإنما فعليًا تحت حكمه، وهذا أمر لم يتحقق في جزيرة العرب، لا في عصر النبي ولا في عصر خلفائه الراشدين، وإنما تحقق على يد حاكم الدولة السعودية القوي.

---

(١) مدينة في حضرموت.

(٢) هو الشريف غالب.

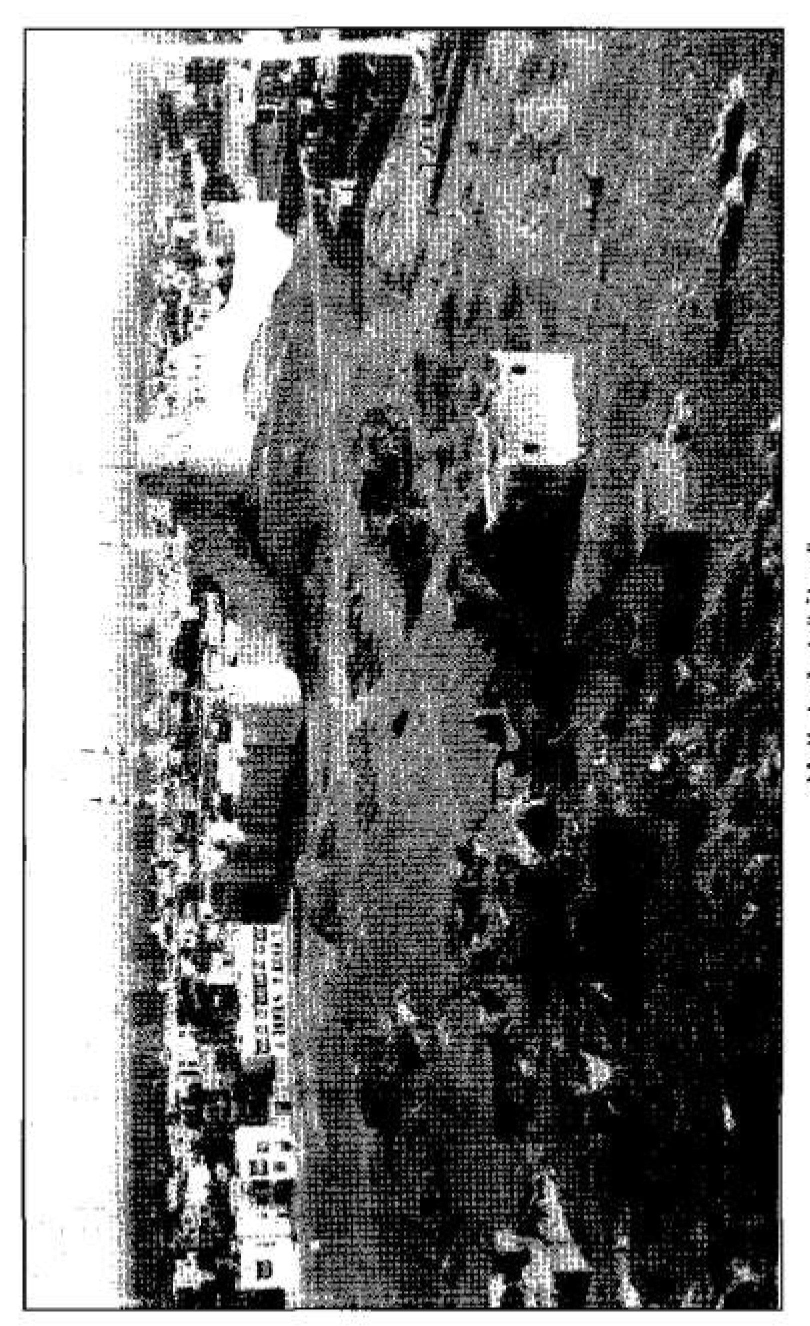
لقد امتدت مساحة دولته من الشمال إلى الجنوب بطول ٢٥٠٠كم، ومن الشرق إلى الغرب بطول ١٥٠٠كم، إنها حقًا مملكة اقتضى تأسيسها كثير من الجهد، ولذلك يجب مضاعفة الجهد للمحافظة عليها.

ظل أتباع أسر زعماء القبائل الخاضعة للدولة السعودية يتطلعون لاستعادة قوتهم السابقة، حتى إن بعض قبائل البادية كانت تبدي استعدادًا للتخلي عن تبعيتها للدولة السعودية في أي لحظة والانضواء تحت راية أُخرى تتيح لها فرصة لممارسة أعمال السلب والنهب من جديد. وتحت هذه الظروف الصعبة لم يكن بمقدور سعود بن عبدالعزيز حُكْمُ المناطق المختلفة في جزيرة العرب بأسلوب واحد، فلم تكن لديه جيوش كافية يستطيع الاعتماد عليها لإدارة تلك المناطق، وكان عليه منح الحكم الذاتي لبعض المناطق الكبيرة[1]، فكان هذا التوجه مغريًا للعرب ذوي التطلع الفطري للاستقلال.

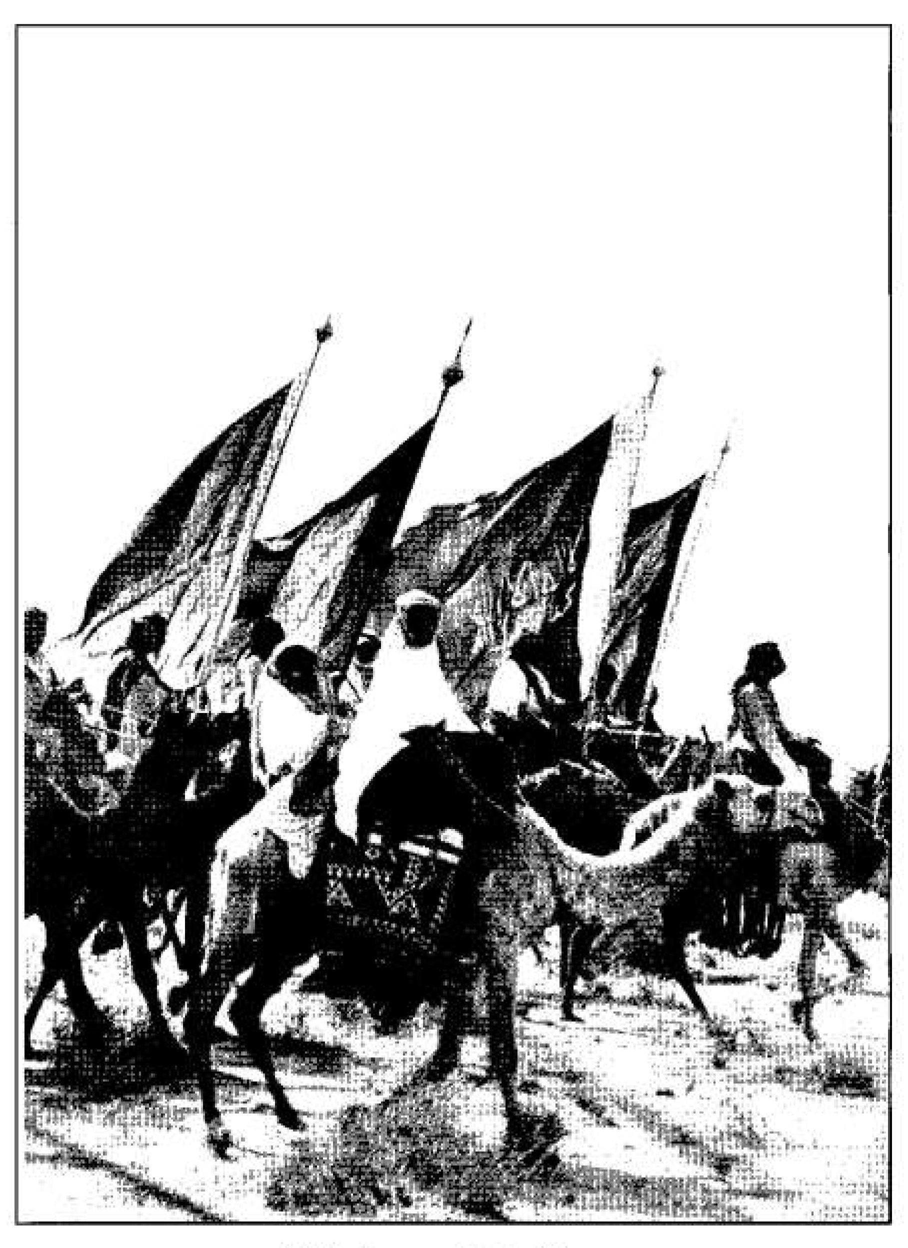
لم يمض وقت طويل حتى بدأت الدولة السعودية المترامية الأطراف تتعرض للتصدع، بسبب تدخل خارجي مدعومًا بالقوة والوعود والهدايا الوفيرة. وكان يقف وراء هذا التدخل الخارجي في دولة سعود بن عبدالعزيز حاكم مصر محمد علي، ففي خريف عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) زحف ثمانمائة رجل من سلاح الخيالة العثمانية مدعومين بأفراد قبيلة الحويطات عن طريق البر من السويس عبر العقبة وعلى امتداد سواحل

---

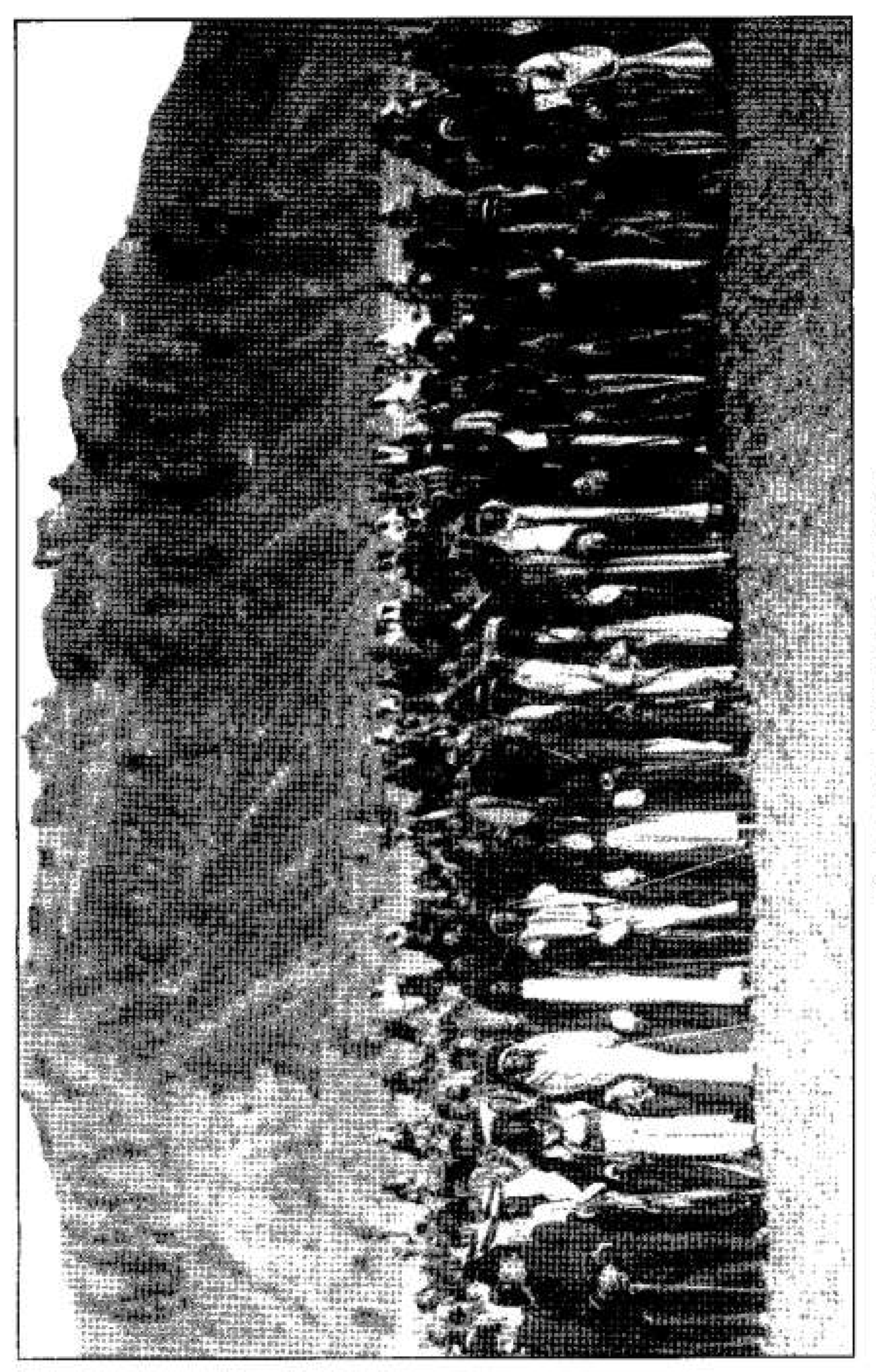
(١) لم يرد في المصادر المحلية المعاصرة ما يشهد على قيام الإمام سعود بن عبدالعزيز بمنح الحكم الذاتي لبعض المناطق الكبيرة.



المدينة المنورة عام ١٩٠٧م



مسيرة الجيش السعودي عام ١٩١١م



مجموعة من شيوخ القبائل في العلا عام ١٩٠٨



رسم تخيلي للإمام عبدالله بن سعود

البحر الأحمر الغربية إلى ينبع التي احتلوها في منتصف شهر أكتوبر[1]، بعد قدوم قوة مساندة عن طريق البحر بقيادة طوسون بن محمد علي، فواصلوا انتصاراتهم التي كان الحظ له دور فيها إلى حدٍّ ما. وعلى إثر تواصل الإمداد بقوات جديدة من مصر، تمكنوا من الاستيلاء على المدينة ومكة في عام ١٨١٣م[2]، كما استطاعوا إخراج السعوديين من الأماكن الواقعة على الساحل، وبذلك تمكنوا من احتلال أهم طريق مؤدٍّ إلى قلب جزيرة العرب.

توفي الإمام سعود في الأول من شهر مايو عام ١٨١٤م (١٢٢٩هـ)[3]، وتولى من بعده ابنه وخليفته عبدالله[4]، الذي حمل على عاتقه مسؤوليات جساماً. فقد أخرج المصريون أتباعه من مناطق الساحل الغربي لجزيرة العرب، كما احتلت القوات العثمانية في سوريا جميع مناطقه الواقعة على الحدود السورية، أما حاكم بغداد فقد ساند القبائل التي كانت مصدراً لإزعاج الدولة السعودية من الشرق. كان الإمام عبدالله - في هذه الأثناء - يخشى أن يقوم أعداؤه بمهاجمته في مقر دولته، ومن أجل تفادي هذا

(١) تقدمت قوات محمد علي بقيادة ابنه أحمد طوسون إلى ينبع واستولت عليها في سنة ١٢٢٦هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٢٢.

(٢) استولت قوات محمد علي على المدينة المنورة في سنة ١٢٢٧هـ، وفي سنة ١٢٢٨هـ استولت على مكة المكرمة، انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٧٥.

(٤) لا يعرف تاريخ مولده، وقد أخذت له البيعة وهو غازٍ على الخنوقة، وكان ذلك بعد وفاة أبيه سنة ١٢٢٩هـ، ومات مقتولاً - يرحمه الله - سنة ١٢٣٤هـ في إستانبول، انظر: الفرج، الخبر والعيان، ص ٣١١؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٨٩.

الخطر المحدق به أرسل أخاه فيصلاً على رأس قوة لمواجهة المصريين، ألدّ أعدائه آنذاك. لقد حقق فيصل في البداية عددًا من الانتصارات، ولكنه تعرض في بداية عام ١٨١٥م (١٢٣٠هـ) لهزيمة قاسية في بسل[1] بالقرب من تربة، وتفرق على إثرها جنود جيشه. وهكذا أخذ طوسون يجهز في المدينة للهجوم على قلب جزيرة العرب.

لقد بذل أعوان طوسون بواسطة الذهب المصري جهدًا كبيرًا في منطقة القصيم، الأمر الذي سهل عليه الاستيلاء على بلدة الرس الحصينة، وأجبر سكان القرى الأخرى على الانضمام إليه[2]. وفي شهر أبريل عام ١٨١٥م (١٢٣٠هـ) أوشك طوسون على احتلال القصيم كله، ولكن الإمام عبد الله استدعى أتباعه في الأحساء وعمان ووادي الدواسر وضمهم إلى قوات جيشه، وبعد أن أدَّب أولئك الذين أرادوا الانضمام إلى المصريين، عسكر في المنطقة الواقعة بين عنيزة والمذنب التي كان طوسون - آنذاك - يهم بالهجوم عليها. في هذه الأثناء انقطعت الإمدادات عن طوسون، فلم يكن عنده غذاء ولا ذخيرة كافية، لذلك اضطر إلى الانسحاب إلى الرس. وهنا أسرع الإمام عبد الله لتعقبه، حيث التف عليه وقطع عليه طريق انسحابه عند موقع الحجناوي[3].

(١) بِسْل : وادٍ يقع جنوب شرق الطائف، ويعرف اليوم بالاسم نفسه، وعن أحداث وقعة بسل، انظر: خالد الفرج، الخبر والعيان، ص ٢٩٤؛ ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٧٠.

(٢) توجهت في سنة ١٢٣٠هـ، قوات طوسون من الحناكية إلى القصيم فاستولت على الرس والخبراء ومسكة وضرية والبصيري ونجخ.

(٣) الحجناوي : منهل ماء يقع بين عنيزة والرس، عند خط الطول ٣٦ ٤٣ وخط العرض ٥٦ ٢٥.

وبعد مرور بضعة أسابيع أدرك طوسون أن لا خيار أمامه سوى طلب عقد معاهدة صلح مع الإمام عبد الله، لقد كان الإمام عبد الله نبيلاً، فلم يثقل على طوسون بالشروط، بل اكتفى بأن يغادر طوسون وجيوشه وسط جزيرة العرب، وأن يُسمح لمواطني عبدالله بن سعود بالمرور عبر المناطق الخاضعة للنفوذ المصري[1].

عاد طوسون في منتصف عام ١٨١٥م (١٢٣٠هـ) من قلب جزيرة العرب سالمًا، وهذا أمر لم يكن يحدث له لو أن الإمام عبدالله أراد القضاء عليه.

وبعد أن قام الإمام عبد الله بتأديب البلدان التي أنكرت ولاءها له، ظن أن الأمر قد انتهى، ولكن محمد علي لم يقبل بمعاهدة الصلح التي عقدها ابنه طوسون مع عبدالله بن سعود؛ لذلك سرعان ما جهز حملة جديدة ضد بلاد العرب، ولكن هذه المرة بقيادة ابنه الآخر إبراهيم الذي استطاع في شهر ديسمبر عام ١٨١٦م (١٢٣٢هـ) احتلال الحناكية ذات الماء الوفير، كما أوعز لقبائل عتيبة وعنزة، بالوعيد تارة وأُخرى بالهدايا، بأن يساندوه، بل إنه وعد فيصل بن وطبان الدويش، شيخ قبيلة مطير، بأن يجعله خليفة لعبدالله بن سعود، الأمر الذي جعل فيصل الدويش يحرك قبائل مطير للوقوف ضد عبدالله بن سعود. والأمر نفسه فعلته أيضًا شمر

(١) عن هذه الأحداث انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، أحداث سنة ١٢٣٠هـ، ص ٣٧٨.

وغالبية قبيلة حرب التي تعرضت مواطنها في جبال أبانان[1] قبل فترة للسلب.

تقدم الإمام عبد الله لملاقاة جيوش العثمانيين عند منهل الماوية[2]، ولكنه لم يتمكن من الصمود أمام مدفعية العدو، فكان لذلك تأثير بالغ على زعزعة محاربيه، مما اضطره إلى التقهقر إلى عنيزة. وهناك تعقبه إبراهيم باشا وحاول الاستيلاء على الرس، ولكنه واجه مقاومة أفقدته أفضل محاربيه، الأمر الذي جعله يحاصر المدينة فترة طويلة، تعرضت خلالها قواته لعدد من الغارات بقيادة فيصل (أخي الإمام عبدالله)، الذي تمكنت قواته من قطع الاتصال عدة مرات بين إبراهيم ومصر. ولكنها لم تتمكن من القيام بهجوم واسع على الرس المحاصرة. استمرت محاصرة إبراهيم باشا للرس أربعة أشهر متتالية[3]، حتى قَدِم إليه سكانها في نهاية شهر أكتوبر عام ١٨١٧م (١٢٣٢هـ) لإعلان الاستسلام.

وبعد مرور ستة أيام من انسحاب عبدالله بن سعود إلى بريدة، فتحت عنيزة أبوابها على إثر انفجار وقع في مخزن ذخيرة إبراهيم باشا. في هذه الأثناء سرح عبدالله بن سعود عددًا كبيرًا من قواته وسمح لهم بالعودة إلى

(١) أبانان : جبلان يقعان على بعد ٥٠كم غرب مدينة الرس، ويمر بينهما وادي الرمة، الجنوبي يسمى أبان الأبيض، والشمالي يسمى أبان الأسود، انظر: العبودي، معجم بلاد القصيم، ج ١، ص ٢٢١.

(٢) الماوية : مورد ماء يقع غرب الرس عند التقاء خط الطول ٣١َ ٤١ْ، وعند دائرة العرض ٠٩َ ٢٥ْ.

(٣) جاء عند ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٨٧، أن حصار الرس بدأ من ٢٥ شعبان حتى ١٢ ذي الحجة من سنة ١٢٣٢هـ.

بلدانهم، أما هو فتوجه على وجه السرعة إلى الدرعية. وعلى إثر ذلك تم الاستيلاء على بريدة بعد مرور ثلاثة أيام من رحيله عنها، وبذلك أصبح القصيم كله تحت سيطرة إبراهيم باشا. ومن أجل الحفاظ على قوته لم يقم بوضع حاميات قوية فيها، بل احتجز من كل بلدة من بلدان القصيم أعيانها رهائن عنده، ثم توجه من بريدة مرورًا بالمذنب إلى شقراء التي اضطرت إلى الاستسلام بعد شهر من محاصرتها، وكان ذلك في منتصف شهر يناير عام ١٨١٨م[1]، ومثل ذلك كان أيضًا قدر عدد آخر من القرى الواقعة هناك، كل ذلك أدى إلى تناقص قوة عبدالله بن سعود، فلم يتبق أمام العاصمة الدرعية سوى المدينة المحصنة ضرما.

لقد قاومت ضرما دخول إبراهيم باشا إليها، ولكنه تمكن بعد محاصرتها من احتلالها وتدميرها في نهاية شهر فبراير[2].

وبعد أن أُمِدّ إبراهيم باشا بقوات مساندة اقترب في نهاية شهر مارس من العاصمة الدرعية[3]، تلك المدينة المحاطة بعدد كبير من الحصون والأودية، ويحميها سور كبير يحيط بها من كل جانب، الأمر الذي

(١) كان ذلك في منتصف شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٣هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٠-٣٩٤.

(٢) وهذا يقابل ١٧ ربيع الآخر سنة ١٢٣٣هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٣٩٥.

(٣) وصلت قوات إبراهيم باشا إلى مشارف الدرعية في مطلع شهر جمادى الأولى من سنة ١٢٣٣هـ/ مارس ١٨١٨م، واستمر حصارها أكثر من ستة أشهر متتالية، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٦-٤١٠.

اضطر إبراهيم باشا قبل أن يوجه نيران مدفعيته نحو سور المدينة إلى محاصرة الحصون نفسها.

لقد تولى الإمام عبد الله وأخوه فيصل قيادة الدفاع عن المدينة، بينما تولى أفراد الأسرة الحاكمة من الشباب توجيه الأوامر للقواعد الدفاعية الأخرى[1].

كان الوضع العام للمهاجمين يتعرض لخطر شديد في بعض الأيام، وخصوصًا في يوم ٢١ يونيو (١٦ شعبان) عندما انفجر مخزون ذخيرتهم، على إثر هجوم السعوديين عليهم من كل جانب، إلا أن إرادة إبراهيم الحديدية وقدرته على التخطيط الحربي مكنت قواته من الصمود حتى وصله مدد من الذخيرة الحية والجنود النشطاء. وعندما سقط جزء من سور المدينة الداخلي في منتصف شهر أغسطس، هرب عدد كبير من أتباع الإمام، واستسلم عدد آخر من سكان المدينة لإبراهيم باشا. أما الإمام عبدالله فظل مع بقية رجاله المخلصين يدافع عن المدينة حتى حاصروه في مسجد الطريف[2]، ولم يستسلم حتى نفذ ما معه من ذخيرة.

دخل إبراهيم باشا الدرعية في التاسع من شهر سبتمبر عام ١٨١٨م[3]، وعلى الرغم من أن الثمن الذي دفعه من أجل استيلائه على

(١) انظر تفاصيل الترتيبات الدفاعية عن الدرعية عند ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٢٩٧-٢٩٩.

(٢) الصحيح في منزله في حي الطريف، وهو أحد أحياء الدرعية الذي تقوم فيه مساكن آل سعود.

(٣) دخل إبراهيم باشا الدرعية في التاسع من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٣٩٩-٤١٦.

هذه المدينة بلغ ألوفًا مؤلفة من أفضل محاربيه، إلا أن مهد الدعوة الإصلاحية أصبح الآن في أيدي القوات العثمانية، كما أن الإمام عبدالله بن سعود الذي كان يرغب في انتزاع لقب الخليفة من السلطان العثماني، يجب عليه الآن الذهاب أسيرًا إلى السلطان العثماني ليصدر عليه حكمه، ذلك الحكم الذي كلفه حياته، فقد قتل عبد الله في شهر ديسمبر عام ١٨١٨م[1] في إستانبول.

وعلى إثر سقوط الدرعية زحف منها عدد من فيالق الجيش العثماني إلى المناطق المجاورة فاحتلوها دون مقاومة تذكر.

وبعد أن خرج أفراد أسرة آل سعود الحاكمة من الدرعية طلبًا للنجاة بأنفسهم استقروا عند بعض قبائل البادية، وسرعان ما بدؤوا يثيرون القلاقل في صفوف المحتلين، بيد أنهم لم يتمكنوا من مهاجمة معاقلهم.

في هذه الأثناء كان العثمانيون يحتلون منطقة الأحساء، وقد قاموا بوضع حاميات عثمانية في القطيف والهفوف، مما أثار مخاوف الإنجليز.

بقي إبراهيم باشا في الدرعية[2]، وفي بداية إقامته اتبع سياسة اللين، ولكن تلك السياسة سرعان ما تغيرت، فقد أقدم على أسر أفراد الأسرة الحاكمة الذين يقيمون في البلدان المحتلة، أو أولئك الذي رجعوا

---

(١) قتل الإمام عبدالله - يرحمه الله - بأمر من السلطان العثماني في نهاية شهر ربيع الآخر أو بداية جمادى الأولى سنة ١٢٣٤هـ.

(٢) بقي ابراهيم باشا في الدرعية تسعة أشهر.

إليها فيما بعد، فاستولى على ممتلكاتهم وهجَّرهم إلى مصر، ليس ذلك فحسب، بل إنه قام في نهاية شهر مايو ١٨١٩م بإصدار أوامره بتدمير قلعة الدرعية، واقتلاع نخيلها، وإحراق منازلها، ثم غادر في نهاية شهر يوليو[١] إلى القصيم، ومنها تحرك في نهاية شهر أغسطس إلى المدينة.

بُعيد ذلك بقليل، وتحديدًا في ١٣ أغسطس عام ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) تمكن الضابط الإنجليزي ج. ف. سادلير[٢] من الوصول إلى الدرعية، وقد كان يهدف إلى استكشاف نوايا الحكومة المصرية، وأيضًا إلى تحذيرهم من التوغل قدمًا في الخليج العربي.

قامت الحامية العثمانية بعد رحيل إبراهيم باشا بمساندة محمد بن مشاري، وهو من أسرة آل معمر الحاكمة التي سبق لابن سعود الإطاحة

(١) غادر إبراهيم باشا الدرعية في شهر شعبان سنة ١٢٣٤هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٣٤، ٤٣٦.

(٢) هو : جورج فورستر سادلير George Forster Sadlier، ولد في يورك عام ١٧٨٩م، ومات في نيوزيلاندا عام ١٨٥٩م، التحق في الجيش البريطاني عام ١٨٠٥م، وقام في عام ١٨١٩م بأمر من السلطات البريطانية في الهند برحلة إلى بلاد العرب لمقابلة إبراهيم باشا، فانطلق من القطيف ولم يلتق إبراهيم باشا إلا بعد وصوله إلى آبار علي قرب المدينة المنورة (انظر: سادلير، رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م، جدير بالملاحظة أن ما ذكره موسل أعلاه عن أهداف رحلة سادلير إلى بلاد العرب يختلف عن أهدافها التي ذكرها ريان راسك (المرجع السابق، ص ٧) من أنها لتهنئة إبراهيم باشا على إسقاطه عاصمة الدولة السعودية الأولى، وللتعاون معه في القضاء على ما بقي للدولة السعودية من نفوذ في الخليج العربي.

بها[1]. كان محمد بن مشاري بن معمر رجلاً واسع الثراء وزوجًا لإحدى بنات الإمام عبد العزيز بن سعود[2]. وسرعان ما التف الأتباع من حوله، خصوصًا من أولئك الذين فروا من الدرعية في أثناء حصارها، عندما وعدهم بإعادة بناء منازلهم التي لم يمض عام ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) إلا وقد أعيد بناء أغلبها. لم يبق محمد بن مشاري بن معمر على هذه الحال فترة طويلة، فقد هاجمه ماجد بن عريعر زعيم قبيلة بني خالد، مما اضطره إلى الاعتراف بسيادته[3] وبعد ذلك توالت عليه تدريجيًا الغارات من قبل أفراد أسرة آل سعود. وفي نهاية شهر مارس عام ١٨٢٠م تمكن مشاري بن سعود العائد للتو من مصر[4] من إخراجه من الدرعية، ولكن محمد بن مشاري بن معمر تمكن في هذه الأثناء من إلقاء القبض عليه[5]، فأودعه

(١) كان آل معمر أمراء في العيينة التي خضعت لحكم الدولة السعودية الأولى، وإمارتهم لم تنقطع في تلك البلدة.

(٢) المعروف من المصادر المحلية أن الإمام عبدالعزيز بن محمد هو خاله.

(٣) الصحيح أن ابن معمر قدم له الهدايا، وأقنعه بأن كليهما تابعان للدولة العثمانية، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٢١٦.

(٤) لم يصل الأمير مشاري بن سعود بن عبدالعزيز إلى مصر، بل الصواب أنه تمكن في سنة ١٢٣٥هـ من الهرب من قوات إبراهيم باشا وهو في الطريق بين المدينة المنورة وينبع، ثم عاد إلى الوشم ومن هناك إلى الدرعية، وبويع حاكمًا عليها.

(٥) كان ذلك بعد أن تنازل له ابن معمر وخرج إلى سدوس مدعيًا المرض، ثم عاد واستولى على السلطة وسجن الأمير مشاري بن سعود، انظر، تاريخ الفاخري، ١٨٦.

في البداية سجن سدوس[1]، ثم بعد ذلك نقله إلى سجن العيينة[2].

وبسبب وصول قوات عثمانية في شهر نوفمبر عام ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ) لمساندة محمد بن مشاري بن معمر، تخلى عنه كثير من الأهالي، وتوجهوا على الفور ليلتفوا حول رجل شجاع هو تركي بن عبدالله[3] الذي أمر في بداية عام ١٨٢١م (١٢٣٦هـ)[4] بالقضاء على محمد بن مشاري بن معمر. ولم يستطع العثمانيون إنقاذه، فقد كانت قواتهم إضافة إلى انقسام بعضها على بعضٍ قليلة جدًا.

قدم في نهاية عام ١٨٢١م إلى قلب جزيرة العرب الطاغية حسين بك أبو ظاهر[5]، كي يعيد الأمور إلى سالف عهدها، وقد بدأ أعماله من ثرمدا التي أمر بتحصينها، وسجن فيها عددًا كثيرًا من الأسرى الذين وقعوا في قبضته في الأماكن التي لم يكتف باحتلالها فقط، بل قام بنهبها وتدميرها. وقد كان من نتائج أفعال حسين أبو ظاهر وسياسته أن قام سكان المدن بالانضمام إلى أهل البادية، فأخذوا جميعًا يشنون الغارات على القوات

---

(١) سدوس: بلدة تقع شمال غرب الرياض.

(٢) قبض محمد بن مشاري بن معمر على الأمير مشاري بن سعود ثم سلمه للحامية العثمانية في سدوس، وبعدها نقل إلى الحامية العثمانية في عنيزة التي سجن فيها حتى وفاته. انظر: الأطلس التاريخي، ص ١١٢.

(٣) هو: الإمام تركي بن عبدالله بن محمد، مؤسس الدولة السعودية الثانية، تولى سنة ١٢٤٠هـ وقتل - رحمه الله - سنة ١٢٤٩هـ.

(٤) انظر: تاريخ الفاخري، ص ١٨٧.

(٥) وصل حسين بك أبو ظاهر في سنة ١٢٣٦هـ إلى القصيم، ومنها زحف إلى ثرمدا ثم الرياض.

العثمانية نفسها وعلى الموالين لها من سكان المدن. وهكذا بعد سنوات طويلة من البناء قُضي الآن على الأمن والاستقرار في قلب جزيرة العرب، فالنخيل اقتلعت، والآبار دفنت، والأراضي تصحرت بعد زرعها(1).

كان نهاية عام ١٨٢٢م موعداً للقضاء على قوات حسين بك، فقد هوجمت عند منهل حاير سبيع وقضي على أغلب جنودها(2)، والآن لم يتبق من القوات العثمانية سوى تلك التي تقيم في المدن الكبيرة.

بدأت منذ هذه اللحظة حروب التحرير ضد العثمانيين بقيادة تركي بن عبدالله وابنه فيصل.

في هذه الأثناء كانت الحاميات العثمانية تعسكر في الرس، وعنيزة، وشقراء، وثرمداء، والهفوف، وقد اضطر العثمانيون في بعض الأحيان إلى التخلي عن الهفوف نتيجة لصعوبة الاتصال بها.

كانت القوات العثمانية المرابطة في قلب جزيرة العرب تقوم على الإمدادات التي تصلها في موسم الأمطار من المدينة، وكذلك على جباية الضرائب التي فُرضت على البلدان كافة، وبذلك تمكنت القوات العثمانية من الحصول على غذاء يكفيها طوال العام، بل إن من يعود منهم من جزيرة العرب كان يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى الثراء. ونظرًا لأهمية جباية

---

(1) انظر تفاصيل هذه الأحداث في تاريخ الفاخري، ص ١٨٧ - ١٩٣؛ وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٥٤.

(2) كان ذلك في نهاية سنة ١٢٣٧هـ، حيث قتل من قوات حسين بك أبو ظاهر أكثر من ثلاثمائة جندي، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ٤٦٣.

الضرائب فقد كُلف للقيام بها موظفون مصريون وعثمانيون. كل ذلك كان مدعاة لأن يشعر الأهالي بالحنين إلى آل سعود ونظامهم في الحكم.

وهكذا التف المستاؤون من الحكم العثماني حول تركي وابنه فيصل، وسرعان ما استردوا البلدان القريبة والبعيدة كافة ، وتمكنوا من صدّ جميع محاولات العثمانيين لاحتلالها من جديد. وفي هذه الأثناء تمكن المحارب الشجاع فيصل من طرد العثمانيين وأصدقائهم من الدرعية التي اتخذها والده تركي قاعدة لإدارة سياسة البلاد[1]. استمرت الأوضاع على هذا النحو حتى عام ١٨٣٢م (١٢٤٨هـ) حين قدم إلى قلب جزيرة العرب إسماعيل بك على رأس قوة عثمانية جديدة، وكان في هذه المرة يسعى لدس الفرقة وإشعال نار الفتنة بين أفراد الأسرة السعودية الحاكمة، وقد نجح في إقناع مشاري[2]، وهو فتى صغير السن من آل سعود، ومن أجله احتل الدرعية. وفي أوائل عام ١٨٣٣م قام مشاري باغتيال الإمام تركي في قصره بالرياض[3]. وحينئذٍ اعترف العثمانيون بمشاري حاكمًا للبلاد.

(١) الصواب أن الإمام تركي بن عبدالله اتخذ الرياض مقرًا جديدًا لإدارة البلاد، وذلك بعد أن تمكن من طرد الحامية العثمانية منها في سنة ١٢٤٠هـ. انظر: الأطلس التاريخي، ص ١١٦.

(٢) هو : الأمير مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود، كان ممن رحلوا إلى مصر، وبعد عودته من سجنه في مصر سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م عينه الإمام تركي بن عبدالله أميرًا على منفوحة.

(٣) اغتيل الإمام تركي بن عبدالله وهو خارج من صلاة الجمعة في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٤٩هـ/ ٨ مايو ١٨٣٤م بتدبير من الأمير مشاري بن عبدالرحمن على يد إبراهيم بن حمزة بن منصور.

لم تستمر فترة حكم مشاري أكثر من شهرين[1]، ففي تلك الأثناء كان فيصل ابن الإمام تركي وقائد جيشه يحاصر الهفوف[2]، وحين سماعه خبر اغتيال أبيه سرعان ما جهز مجموعة من أعوانه المخلصين بقيادة عبدالله بن رشيد[3] الذي تمكن من خلال خطة ذكية من قتل مشاري[4]. وبينما كان فيصل يزحف نحو الرياض، انضم إليه جميع الأهالي، فاضطر أفراد الحامية العثمانية للخروج من الرياض[5] مسرعين نحو القصيم، وهناك وصلتهم إمدادات جديدة كانت السبب في نجاتهم.

في هذه الأثناء تمكن الإمام فيصل من السيطرة على منطقة الأحساء، وأخذ يهدد القبائل الموالية للعثمانيين، وأجبرهم تدريجيًا على التخلي عن ولائهم للعثمانيين، بل إنه أجبرهم أيضًا على التحالف ضدهم. قامت في خريف عام ١٨٣٦م (١٢٥٢هـ) ثورة عامة، جعلت القوات العثمانية تفقد بعض قوتها، مما اضطر خورشيد باشا حاكم جدة - آنذاك - إلى

---

(١) الصحيح أن مدة حكمه لم تستمر سوى أربعين يومًا، انظر: تاريخ الفاخري، ص ٢٠٧.

(٢) لم يكن الإمام فيصل في هذه الأثناء يحاصر الهفوف، بل كان في حملة ضد قبيلة العماير قرب القطيف، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٠٠.

(٣) هو : عبدالله بن علي بن رشيد، مؤسس إمارة آل رشيد في حائل، عيَّنه الإمام فيصل أميرًا على حائل في سنة ١٢٥١هـ، انظر : الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٠٧.

(٤) تمكن الإمام فيصل بن تركي من استعادة الرياض في العاشر من صفر سنة ١٢٥٠هـ. انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص ١٠٢-١٠٤.

(٥) لم تذكر المصادر التاريخية أن ثمة حامية عثمانية تقيم في الرياض آنذاك.

إرسال قوات قوية تمكنت من إخضاع عدد من المدن والقرى. على إثر ذلك خرج الإمام فيصل من الرياض، فعُين من بعده خالد[1]، وهو ابن الإمام سعود، وكانت نشأته في جدة[2]. لم يكن خالد يحكم البلاد مستقلاً، فقد كانت السياسة الداخلية تُدار من قبل أُمه، أما الحملات الحربية فكانت تتم بموافقة خورشيد باشا؛ ولهذا السبب بدأت عزلة المواطنين له تزداد، وعندما دخل الإمام فيصل بصحبة قواته الدرعية[3] في ربيع عام ١٨٣٨م سارع خالد إلى الهرب برفقة حراسه الشخصيين نحو القصيم، ومن هناك توجه إلى جدة التي توفي فيها عام ١٨٦١م[4].

(١) هو : خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، حكم من سنة ١٢٥٤ إلى ١٢٥٧هـ الموافق ١٨٣٨-١٨٤١م، دخل الرياض بصحبة قائد قوات محمد علي اسماعيل بك في يوم السبت السابع من صفر سنة ١٢٥٣هـ، انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص ١٤٧.

(٢) تتفق رواية المصادر على أن الأمير خالد بن سعود كان ممن نقلهم إبراهيم باشا من الدرعية إلى مصر من أفراد أسرة آل سعود، وبعد ثمانية عشر عامًا قدم إلى المنطقة برفقة قوات محمد علي التي أرسلها بقيادة إسماعيل بك للقضاء على الدولة السعودية الثانية.

(٣) الصحيح أنها الرياض، فهي العاصمة آنذاك، أما الدرعية فلم تعد عاصمة الدولة السعودية منذ سقوطها وهدمها سنة ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٨م.

(٤) من الملاحظ أن المؤلف هنا يخلط في ترتيب سير الأحداث التاريخية، فليس صحيحًا قوله بأن الإمام فيصل بن تركي هو من قام بإخراج الأمير خالد، بل الصحيح أن الأمير عبدالله بن ثنيان هو من قام بذلك، فحينما أدرك الأمير خالد تزايد قوة الأمير عبدالله بن ثنيان ترك مقر حكمه في الرياض وهرب في سنة ١٢٥٧هـ إلى الأحساء، وبعد دخول الأمير عبدالله بن ثنيان الرياض شعر الأمير خالد بعدم جدوى محاولة استعادتها، فغادر الأحساء إلى الكويت ومن =

لم يكن خورشيد باشا راضيًا على فقدان قلب جزيرة العرب، لذلك زحف متسلحًا بكثير من العتاد والذخيرة في خريف عام ١٨٣٨م (١٢٥٤هـ) من المدينة عبر عنيزة إلى الرياض التي سرعان ما احتلها، وعلى إثر خروج فيصل من الرياض، تعقبه خورشيد باشا عبر الحاير ثم المحمدي[١] حتى الدلم، وحاصره هناك من ٥ نوفمبر حتى ١٩ ديسمبر من عام ١٨٣٨م، وتمكن في النهاية من أسره[٢].

رُحِّل الإمام فيصل مع آخرين من أفراد عائلة آل سعود عبر المدينة إلى مصر[٣]، ونُصب عبدالله بن ثنيان حاكمًا على الرياض[٤].

أما خورشيد باشا فقد احتل الهفوف، واقترب من القطيف، وأخذت سفينته الحربية تهدد جزر البحرين، ولكنه اضطر بعد احتجاج بريطانيا ضد تحركاته إلى التخلي عن الزحف إلى الأمام، واكتفى بالمحافظة على ما استولى عليه من بلدان. لقد حاولت القوات العثمانية - آنذاك - إعادة النظام والأمن إلى قلب جزيرة العرب، وبعد انسحابها من قلب جزيرة

= هناك إلى القصيم ثم إلى مكة المكرمة، وأقام آخر حياته في جدة، وقد قابله الرحالة الفرنسي ديدييه، وذكر أن اسمه خالد بن عبدالله بن سعود، وهذا خطأ من ديدييه، انظر: شارل ديدييه، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ص ٥١٢، ٣٥٤-٣٥٥.

(١) المحمدي : إحدى قرى الخرج.

(٢) درءًا لمزيد من القتل والدمار فضل الإمام فيصل الاستسلام في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ١٢٥٤هـ، انظر، ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص ١٧٢.

(٣) كان ذلك في الثاني من شهر شوال سنة ١٢٥٤هـ.

(٤) الصواب الأمير خالد بن سعود، وكان ذلك في سنة ١٢٥٤هـ.

العرب[١]، وتركهم للمدن والقرى تدير شؤونها بنفسها، بدأت الأسر الحاكمة القديمة تتطلع إلى استعادة حكمها، فكان ذلك مدعاةً إلى نشوب حروب أهلية جديدة. وقد بذل عبدالله بن ثنيان حاكم الرياض آنذاك[٢] جهدًا كبيرًا في تحصين مقر حكمه وإخضاع البلدان المحيطة به، فكان الحظ حليفه في ذلك، ولكنه من جانب آخر لم يستطع كسب أتباع الإمام فيصل الذي لا يزال أسيرًا في مصر.

وعندما تمكن الإمام فيصل في عام ١٨٤٤م[٣] من الهرب من سجنه في مصر والوصول إلى القصيم[٤] بُويع في كل مكان حاكمًا للبلاد، لم لا والجميع يعرفون عدله وشجاعته، ويأملون من خلاله استعادة حياة الرفاهية التي عاشوها إبان فترة حكمه الأولى.

زحف الإمام فيصل عبر شقراء إلى الرياض، وأجبر عبدالله بن ثنيان على الاستسلام في عام ١٨٤٤م[٥]. وبُعيد ذلك بقليل توفي عبدالله بن

(١) تنفيذًا لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ اضطرت القوات العثمانية إلى الجلاء عن قلب جزيرة العرب.

(٢) تمكن الأمير عبدالله بن ثنيان آل سعود من الوصول إلى الحكم على إثر ثورة قام بها ضد الأمير خالد بن سعود أسفرت عن دخوله الرياض في سنة ١٢٥٧هـ، انظر تفاصيل ذلك عند: ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ١٩١-١٩٧.

(٣) الصحيح أن الإمام فيصل رجع من مصر في بداية عام ١٢٥٩هـ الموافق ١٨٤٣م، انظر: تاريخ الفاخري، ص ٢١٢.

(٤) وصل الإمام فيصل في بادئ الأمر إلى حائل، انظر : ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢، ص ٢٠٧

(٥) الصحيح أن دخول الإمام فيصل الرياض واستسلام عبدالله بن ثنيان كان في الرابع والعشرين من مايو عام ١٨٤٣م الموافق الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٢٥٩هـ، انظر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ١٣٠.

ثنيان فجأة[1]، وثمة شائعات تقول إنه مات مسمومًا[2].

بعد أن أعاد الإمام فيصل الأمن والنظام إلى الرياض وما حولها سرعان ما وجه قواته نحو بني خالد، وأخذ يفتح مدن الأحساء الواحدة تلو الأخرى، بما فيها الهفوف والقطيف والعقير، كما أجبر قبائل العجمان وبني هاجر على إعلان التبعية له.

ولم تمض سنوات كثيرة حتى امتد نفوذ الإمام فيصل في الشمال الشرقي، وفي الجنوب بما يقارب نفوذ دولة أجداده، ولكنه لم يصادف نجاحًا كبيرًا في الغرب والشمال. إذ إن شريف مكة[3] كان يقدم العون والمساندة لعشائر مطير العِلْوِيين[4] ولعشائر عتيبة ولأهالي منطقة القصيم.

لقد كان الشريف – آنذاك – يمنع على إثر كل غارة يقوم بها فيصل أو أحد أبنائه باتجاه الشمال أو الغرب جميع الحجاج والقوافل التجارية القادمة من أراضي الدولة السعودية من دخول مكة، لذلك قام الإمام فيصل بالتخلي عن القصيم[5] من أجل دفع الضرر عن أتباعه في نهاية عام

(١) توفي الأمير عبدالله بن ثنيان في منتصف شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٥٩هـ. انظر: ابن بشر، عنوان المجد، ج٢، ص ٢١٤.

(٢) يذكر ضاري الرشيد أن حراسه هم من قتله، نبذه تاريخية عن نجد، ص ٩٧.

(٣) كان شريف مكة – آنذاك – محمد بن عون.

(٤) يقصد المؤلف بذلك علوى، إحدى فروع قبيلة مطير.

(٥) ليس صحيحًا أن الإمام فيصل تخلى عن القصيم، فالأمر أن ثمة صلحًا وقع بين الإمام فيصل وأمير عنيزة عبدالله اليحيى السليم في الرياض تظل بموجبه عنيزة تابعة للإمام فيصل، ويتولى إمارتها عبدالله اليحيى السليم، وبذلك =

١٨٥٥م (١٢٧٢هـ) ، حيث اعترف بزامل السليم[١] حاكمًا مستقلاً في عنيزة ، كذلك الأمر نفسه مع بريدة، ولكن (مهنا) أمير بريدة[٢] كان - آنذاك - يخشى عودة عائلة آل عليان المنفية، لذلك فضَّل البقاء على تبعيته للإمام فيصل، وأما طلال الرشيد أمير حائل فقد حافظ على ولائه للإمام فيصل.

في نهاية عام ١٨٦١م (١٢٧٨هـ) نشبت الحرب من جديد في القصيم، فقد قام زامل بن سليم[٣] أمير عنيزة بتحريض من الشريف بسلب بعض البلدان التابعة للإمام فيصل، وعلى إثر ذلك أرسل الإمام فيصل ابنه محمدًا على رأس قوة اتحدت مع مهنا[٤] أمير بريدة، فهزموا[٥] زامل بن سليم[٦]، وأُجبر على دفع الزكاة السنوية.

= هدأت فتنة القصيم، انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٢٥.

(١) الصحيح أنه عبدالله اليحيى السليم الذي تولى إمارة عنيزة في سنة ١٢٧٠هـ بعد خروج الأمير جلوي بن تركي منها، انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٢٥، أما زامل السليم فقد تولى الإمارة بعد وفاة ابن عمه عبدالله اليحيى السليم في سنة ١٢٨٥هـ. انظر، تاريخ الفاخري، ص ٢٢٩.

(٢) لم يكن أمير بريدة في هذه الأثناء مهنا، بل كان عبدالعزيز آل عليان، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ٢٧٧.

(٣) الصحيح عبدالله اليحيى السليم.

(٤) الصحيح مع عبدالرحمن بن إبراهيم أمير بريدة آنذاك.

(٥) تسمى هذه الوقعة باسم وقعة المطر، انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٢٧.

(٦) الصحيح عبدالله اليحيى السليم.

كان الإمام فيصل يعاني في هذه الأثناء من مرض في عينيه، لذلك أسند إدارة أمور الدولة إلى أبنائه، كان عبدالله أكبر أبنائه يتمتع بالشجاعة والصرامة، فالجميع يشعرون بمهابته أكثر من محبته، وهو يقيم في الرياض أو الأحساء، أما أخوه الأصغر سعود فقد كان يتمتع بحب الشعب بسبب شجاعته وكرمه ، وهو يقيم في الغالب في الجزء الجنوبي الغربي من منطقة الرياض، وكان محمد الأخ الثالث يتولى أمور إدارة المناطق الشمالية، وأما عبدالرحمن أصغرهم والمولود في عام ١٨٥٠م (١٢٦٧هـ) فكان يلازم والده في الرياض.

وعندما توفي الإمام فيصل في عام ١٨٦٥م[١] بُويع ابنه عبدالله حاكمًا على البلاد من بعده، ولكن تلك المناطق التابعة لإدارة أخيه سعود لم تكن موالية له، الأمر الذي أدى إلى اندلاع حروب أهلية، فُقدت على إثرها عنيزة ومنطقة القصيم بأكملها في عام ١٨٦٧م (١٢٨٤هـ).

وبسبب تخوف أهالي الرياض والخرج من زوال دولتهم التي كانت يومًا ما في قمة ازدهارها انضموا أخيرًا إلى جانب عبدالله، الأمر الذي اضطر سعود إلى الخروج من منطقة إقامته طالبًا العون والحماية من أتباع أجداده العجمان.

على إثر ذلك زحف راكان بن حثلين شيخ قبيلة العجمان، بعد أن اتفق مع ابن خليفة حاكم البحرين ومع شيوخ آل مرة، إلى الهفوف التي كان يديرها أحمد السديري ممثلاً للأمير عبدالله[٢].

(١) توفي الإمام فيصل في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ.
(٢) الصحيح أن أمير الهفوف آنذاك كان ناصر بن جبر الخالدي الذي عيَّنه =

وبعد عدة أسابيع من المقاومة استسلم أحمد السديري[1]، وخصوصًا بعد أن هدد المهاجمون بتقطيع النخيل.

في هذه الأثناء جمع الإمام عبدالله، بمساعدة أخيه محمد، عددًا قليلاً من المحاربين من أرجاء البلاد كافة، وتوجه[2] مسرعًا بقوة ضعيفة نحو الهفوف، وبينما كان عبدالله[3] في منتصف الطريق بين الرياض والهفوف علم أن المدينة قد سقطت[4]، فقرر أن يثأر لها، وقام بتقسيم قوته إلى عدة وحدات وأمرهم بالتوجه بسرعة عبر طرق مختلفة إلى منهل جودة[5]، حيث يقيم الخصم، وهناك تلتقي معه جميع الوحدات، فينقضُّ

= الإمام عبدالله في سنة ١٢٨٤هـ بدلاً عن محمد بن أحمد السديري، انظر: تاريخ الفاخري، ص ٢٢٨؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٧.

(١) حديث المؤلف هنا غير دقيق، فالهفوف لم تستسلم بعد، بل لا يزال الأمير سعود محاصرًا لها، كما أن قول المؤلف أن أحمد السديري (الاسم الصحيح محمد بن أحمد السديري) يتولى الدفاع عن المدينة غير صحيح أيضًا، فمن كان يقوم بهذه المهمة هو أمير الهفوف - آنذاك - ناصر بن جبر الخالدي، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٢٩٢.

(٢) لم يخرج الإمام عبدالله بن فيصل على رأس هذا الجيش، بل إنه أرسل أخاه محمدًا، انظر: الأحسائي، تحفة المستفيد، ج١، ص ٢٨٩.

(٣) الصواب الأمير محمد بن فيصل أخو الإمام عبدالله.

(٤) لم تسقط الهفوف بعد في يد الأمير سعود بن فيصل، فالمعروف أن الأمير سعود فك الحصار عن الهفوف حينما علم بمقدم جيش من الرياض، وخرج لملاقاته، انظر: ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٣٠.

(٥) تقع (جودة) في المنطقة الشرقية، عند خط الطول ٤٩َ ٤٨ْ وخط العرض ٤٧َ ٢٥ْ، انظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي - المنطقة الشرقية، ج١، ص ٤٣٦.

الجميع بحلول شروق الشمس بغتةً على الخصم، ولكن الأمر آل إلى عكس ما كان يخطط له، فقد كان الخصم محكمًا قبضته على جميع مناهل الآبار القريبة والبعيدة في المنطقة، فتمكن من مهاجمة وحدات قوة الإمام عبدالله[1]، وقتلوا منها ما يزيد على ٢٣٠٠ رجل من أفضل محاربيه[2]، الأمر الذي اضطر الإمام عبدالله إلى الهرب[3].

زحف الأمير سعود بصحبة معاونيه نحو مقر أسرته الحاكمة في الرياض، فدخلها حاكمًا[4]، على الرغم من مقاومة بعض البلدان له، وخصوصًا بلدة البرة[5] التي حاول عبدالله مناصرتها أيضًا، ولكنه تعرض لهزيمة أخرى.

---

(١) الصحيح الأمير محمد بن فيصل.

(٢) يذكر ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٢٠، أن عدد القتلى بلغ خمسمائة رجل، ويذكر الأحسائي، تحفة المستفيد، ج٢، ص ٢٩٠، أن عدد القتلى بلغ أربعمائة رجل.

(٣) على إثر سماع الإمام عبدالله خبر هزيمة جيشه في جودة غادر الرياض، وكان ذلك في سنة ١٢٨٧هـ الموافق ١٨٧٠م، أما الأمير سعود بن فيصل فقد عاد بعد انتصاره في وقعة جودة إلى الأحساء واستولى عليها، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٦-٧٧.

(٤) دخل الإمام سعود الرياض في سنة ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧١م، انظر: تاريخ الفاخري، ص ٢٣٠.

(٥) البرة : بلدة تقع على مسافة ١٢٠كم جنوب غربي الرياض، ووقعة البرة بين عبدالله وأخيه سعود أبناء الإمام فيصل كانت في سنة ١٢٨٨هـ، انظر، ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد. ص ١٣١.

وهكذا لم يتمكن عبدالله[1] من البقاء في مقر إقامة آبائه، لذلك حمل أمتعته على ظهر مائة جمل وركب بصحبة ثلاثين خيالاً، ينتقل من قبيلة إلى أخرى، فقصد في بادئ الأمر زامل بن سليم[2]، أمير عنيزة، ولكن تخوف زامل من انتقام الأمير سعود اضطره إلى أن يطلب من الأمير عبدالله بعد مرور بضعة أيام ترك المكان والبحث عن آخر.

ترك عبدالله عنيزة وتوجه إلى الأمير محمد بن رشيد[3] في حائل، ولكنه لم يتمكن من البقاء هناك فترة طويلة، وقصد أخيرًا سلطان الدويش[4] وعساف أبوثنين، شيخ قبيلة سبيع، وكلاهما كان يحقدان على حاكم الرياض، ويأملان بإشعال حرب أهلية جديدة لإضعاف قوته. وقد حرص الأمير عبدالله على حثهم على القيام بهجوم فعال ضد سعود وأتباعه، ولكنهما لم يقتنعا بالقيام بهجوم مسلح من أجل عبدالله.

وعندما أدرك عبدالله أنه لن يجد العون في جزيرة العرب أرسل عبدالعزيز أبابطين[5]، وهو أحد رجاله المخلصين، لطلب المساندة من والي

---

(١) خرج الإمام عبدالله من الرياض في ربيع الأول سنة ١٢٨٨هـ، انظر: الأحسائي، تحفة المستفيد، ج١، ص ٢٩١.

(٢) هو زامل بن عبدالله السليم تولى إمارة عنيزة في سنة ١٢٨٥هـ، وقتل في وقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن رشيد، تولى إمارة حائل في سنة ١٢٨٩هـ وتوفي في شهر رجب سنة ١٣١٥هـ، انظر: ضاري الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد، ص٥٢.

(٤) شيخ قبيلة مطير.

(٥) انظر : ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٧٩.

بغداد مدحت باشا الذي كان يدير ولاية بغداد منذ عام ١٨٧٠م[1] بكل اقتدار.

لقد كان مدحت باشا يسعى آنذاك لكسب جميع المناطق التي كانت يومًا ما تابعة لنفوذ بغداد، لذلك لم يتوان في استغلال هذه الفرصة، التي ستتيح له احتلال الأحساء من جديد.

كانت منطقة الأحساء قديمًا تابعة لبابل[2]، وكان العثمانيون يحتلونها من وقت إلى آخر ويديرون شؤونها، وعندما بدأت الدولة العثمانية بالانهيار خرج موظفو الحكومة العثمانية منها، وآلت إدارة شؤونها إلى شيخ قبيلة بني خالد، وهكذا استمر ثراء عائلات موظفي الحكومة العثمانية، وظل شيخ بني خالد على ولائه لسلطان القسطنطينية، وكان كلما أحس بالخطر التمس العون من حاكم بغداد العثماني، كما قام أيضًا بمساندة قوات محمد علي العثمانية التي كانت - مع بعض الانقطاع - تقيم منذ ١٨١٨م (١٢٣٣هـ) وحتى ١٨٤٢م (١٢٥٨هـ) في الأحساء.

لقد كانت الأحساء إبان حكم الإمام فيصل تابعة له، حيث تمكن من إخراج العثمانيين منها، ووقف ضد أطماع حاكم بغداد فيها، أما الآن فإن ابنه وخليفته عبدالله يطلب العون من العثمانيين حينما رأى نفسه مهددًا في الأحساء.

في هذه الأثناء أعلن شيخ قبيلة بني خالد ولاءه التام للعثمانيين، لأنه كان يعتقد أنهم سيمنحونه استقلالاً أكثر مما يمنحه له آل سعود.

(١) تولى مدحت باشا ولاية بغداد من سنة ١٢٨٦ إلى ١٢٨٩هـ الموافق ١٨٦٩-١٨٧٢.

(٢) أي : بغداد.

لقد اتسمت تصرفات مدحت باشا بالحذر الشديد، فقد تمكن في عام ١٨٧٠م (١٢٨٨م) من كسب ناصر شيخ قبيلة المنتفق إلى صفه، وبعد ذلك عبدالله بن صباح سيد ميناء القرين (الكويت) الواقع جنوب البصرة، وعندما تأكد أنه تمكن من إيجاد منفذ آمن إلى منطقة الأحساء وكسب إلى صفه حلفاء جددًا[١]، أمر عبدالله بن صباح أن يزحف بمساندة قوة عثمانية صغيرة في بداية عام ١٨٧١م (١٢٨٨هـ) نحو الأحساء، وكان يقود الهجوم البري مبارك بن صباح، أما عبدالله بن صباح نفسه فقد تولى قيادة الهجوم البحري على العقير، وكان يساندهم في هذا الهجوم عشائر بني خالد وأتباع عبدالله بن فيصل، وقد تمكنوا خلال وقت قصير من احتلال جميع المدن والقرى، فتحولت الأحساء بذلك إلى إقليم تابع للعثمانيين، وقد عمد العثمانيون إلى تغيير اسمه من الآن فصاعدًا ليصبح اسمه لواء نجد[٢].

وهكذا رأى الأمير عبدالله بن فيصل الذي لم يكن راضيًا عن تبعية إقليم الأحساء لأخيه سعود، أنه نفسه قد خسره أيضًا. ولا شك أن مدحت باشا لو أنه استمر حاكمًا لبغداد فإنه سيحاول من جديد ضم قلب جزيرة العرب إلى الدولة العثمانية، ولكنه استدعي وعُين رؤوف باشا[٣] خلفًا له.

---

(١) توجهت الحملة العثمانية لاحتلال الأحساء بقيادة محمد نافذ الفريق.

(٢) انظر تفاصيل أحداث الحملة عند: الأحسائي، تحفة المستفيد، ج١، ص ٢٩٢-٢٩٤، وعند: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٨٣.

(٣) يعرف باسم محمد رؤوف باشا، حكم بغداد من ١٢٨٩ إلى ١٢٩٠هـ/١٨٧٣-١٨٧٥م.

وقد كان رؤوف باشا شخصًا لا يهتم سوى بمصالحه الشخصية، لذلك لم يستغل الحروب الأهلية في وسط جزيرة العرب لتحقيق مصالح دولته.

لم يتمكن الأمير سعود من الدفاع عن الأحساء، فقد تخلَّى عنه العجمان وآل مرة، كما خرجت عليه عتيبة، وشنَّ شيخها سلطان بن ربيعان غارة سَلَبَ خلالها البلدان الواقعة غرب الرياض. وعندما قام سعود بغارة ثأرية معاكسة على عتيبة حوصر في أحد الوديان[1]، وقُتل عدد كبير من أتباعه[2]، كما تعرض هو نفسه لجروح خطيرة جدًا؛ نقل على إثرها إلى الرياض، وأمضى في قصره فترة طويلة كان خلالها مريضًا إلى أن وافته المنية في بداية صيف عام ١٨٧١م[3].

وبينما كان سعود على فراش المرض، استطاع عبدالله أن يتصل بأبناء سعود وأتباعه، وتصالح معهم[4]، وعاد حاكمًا على الرياض، ونظرًا لعدم ثقته بأهل هذه المدينة، جعل أخاه محمد نائبًا له، وأقام هو في إحدى المزارع القريبة[5].

---

(١) كانت الوقعة في طلال، وهو منهل ماء في عالية نجد.

(٢) انظر تفصيل ذلك عند: ابن عيسى، عقد الدرر، أحداث سنة ١٢٩٠هـ، ص ٨٨.

(٣) الصحيح أن وفاة الإمام سعود بن فيصل في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ الموافق ١٨٧٥م، وتولى من بعده الإمام عبدالرحمن بن فيصل، انظر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ١٤٢.

(٤) انظر تفاصيل ذلك عند: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٢٩٥-٢٩٩.

(٥) لم تذكر المصادر المحلية قيام الإمام عبدالله بن فيصل بالإقامة في إحدى المزارع القريبة من الرياض.

خَلَّفَ سعود بن فيصل ثلاثة من الأبناء[1] هم: محمد، وعبدالعزيز، وسعد، وكان محمد أنشطهم، وقد توجه الإخوة الثلاثة إلى الخرج، ومن هناك ساندوا عبدالله في مهامه حتى تمكن من إخضاع أغلب المناطق المتمردة.

وما أن عبدالله[2] انتهى من هذه المهمة حتى وجه جهوده نحو منطقة الأحساء، لاستعادة أقصر الطرق المؤدية إلى البحر، وقام أتباعه بإثارة القلاقل في أماكن مختلفة من الأحساء، وقد كان عبدالله - آنذاك - يأمل أن يستطيع أهل الأحساء أنفسهم طرد العثمانيين، حتى يتمكن من دخولها، ولكن القائم على شؤون الأحساء - آنذاك- لم يكن رديف باشا حاكم بغداد، بل كانت منطقة الأحساء تابعة لإدارة ناصر باشا شيخ قبيلة المنتفق، وهو أول والٍ يُنصَّب على البصرة بعد فصلها عن بغداد، وحالما علم ناصر باشا بالقلاقل في بلدان الأحساء توجه على رأس حملة في نهاية عام ١٨٧٥م (١٢٩١هـ) بصحبة فالح وبزيع ابني عريعر نحو الأحساء، وقام بتأديب الثائرين هناك، ونصّب عليهم بزيع بن عريعر، وهو شاب يافع ينتمي إلى أسرة آل عريعر التي كانت تمتلك الأحساء منذ مئات السنين. وسرعان ما بدأ بزيع بن عريعر يتطلع إلى الاستقلال، ودأب في البحث عن

---

(١) الصحيح أن عدد أبناء الإمام سعود بن فيصل أربعة، هم: محمد وعبدالله وسعد وعبدالعزيز، انظر: خالد الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٥٣.

(٢) يخلط المؤلف هنا في تسلسل الأحداث التاريخية، والصحيح أن من قام بمهاجمة الأحساء ومحاولة طرد العثمانيين منها هو أخوه عبدالرحمن بن فيصل، انظر تفاصيل ذلك عند: أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ٢١٥-٢١٧.

أصدقاء وحلفاء كي يساندوه في التخلص من وطأة الاحتلال الأجنبي، ولكن ناصر باشا، حاكم البصرة، لم يرض عن تقلص نفوذه الشخصي، لذلك أغار في مطلع صيف عام ١٨٧٦م (١٢٩٢هـ) على بزيع بن عريعر، وخلعه من منصبه، وقضى بلا رحمة على أصدقائه كافة، ثم عيّن ابنه مزيدًا للقيام بإدارة شؤون الأحساء، وعاد محملاً بالغنائم الوفيرة إلى البصرة.

كانت أعمال ناصر باشا الوحشية في الأحساء سببًا لقيام حُسَّاده في البصرة بتقديم شكوى ضده لدى الحكام في إستانبول، وبناءً على طلب الإنجليز تم خلعه من منصبه واستدعاؤه إلى إستانبول، حيث مات فيها. وضُمت إدارة شؤون البصرة إلى حاكم بغداد، ولم تنفصل عنها إلا في عام ١٨٨٤م (١٣٠٣هـ).

وفي خضم هذه الأحداث التي أدت إلى عزل ناصر من منصبه حاكمًا للبصرة، فإن الدولة العثمانية لم تفقد نفوذها على منطقة الأحساء التي يسميها العثمانيون لواء نجد، وذلك يرجع إلى تلقي مزيد حاكم الأحساء آنذاك تعزيزًا من قبيلة المنتفق، وكذلك إلى دخول عبدالله بن فيصل في حروب أهلية جديدة.

لم تكلل مساعي عبدالله بن فيصل لاستعادة الأحساء بالنجاح، فوجه جهوده نحو الشمال إلى منطقة القصيم التي كانت – آنذاك – تمثل خطرًا عليه، وعندما اقتربت قواته من المنطقة أعلنت، وخصوصًا زامل بن سليم أمير عنيزة، تبعيتها المطلقة له من جديد، ولم يقاومه في المنطقة سوى أمير بريدة حسن بن مهنا، والذي طلب مساندة أمير حائل محمد بن رشيد، وسرعان ما قدم ابن رشيد على رأس محاربيه فدخل بريدة وأخذ يزحف

نحو عنيزة. وفي هذه الأثناء قام عبدالله بن فيصل بإرسال عبدالله بن عبدالرحمن بن بسام - أحد أهالي عنيزة وتجارها - إلى ابن رشيد لعقد معاهدة صلح معه، تم بموجبها تنازل عبدالله بن فيصل عن القصيم[١] في عام ١٨٧٩م (١٢٩٣هـ)[٢].

لم يكن أقرباء عبدالله بن فيصل وحتى شيوخ القبائل التابعة له راضين عن نتائج اتفاقية الصلح مع ابن رشيد، لذلك هددوا بالتخلي عن الإمام عبدالله وإعلان تبعيتهم لأبناء أخيه سعود، إن هو لم يسترد القصيم.

كان الجميع في هذه الأثناء على علم بسيطرة ابن رشيد الحاسمة على القصيم، بل كانوا يخشون قيامه من هناك بمهاجمة مقرّ دولة آل سعود في الرياض، الأمر الذي اضطر أمراء عنيزة وبريدة إلى الصبر على مضض وتحمل نفوذ حاكم حائل في منطقتهم، وقد كانوا آنذاك على استعداد تام لمساندة عبدالله بن فيصل في الرياض، لكونه أقل خطراً عليهم.

لقد تمكن محمد، وهو أخو الإمام عبدالله بن فيصل[٣] من كسب

(١) الصحيح أن الإمام عبدالله بن فيصل لم يتنازل حينها عن القصيم، كما يذكر المؤلف هنا، وما تؤكده المصادر المحلية أن الطرفين اتفقا على أن يعود كل منهما إلى مقر حكمه، انظر: خالد الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٥٢، حاشية ٢؛ العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٣٠٥.

(٢) عن تفاصيل هذه الأحداث، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٨.

(٣) الصواب أن محمداً هذا هو ابن الإمام سعود بن فيصل، وليس أخا الإمام عبدالله بن فيصل، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٦.

قبيلة عتيبة إلى صفه، ونفذوا سويًا بين عامي ١٨٨١-١٨٨٢م (١٣٠٠هـ) عددًا من الغارات ضد مخيمات أتباع ابن رشيد من قبيلة حرب، بل إنهم أغاروا على البلدان الواقعة جنوبي غرب جبل سلمى. وفي صيف عام ١٨٨٣م قاموا أيضًا بتوجيه حملة حربية كبيرة ضد ابن رشيد، ولكن ابن رشيد فاجأهم في عروى[1] وهزمهم هزيمة ساحقة. وعلى إثر ذلك طالب شيوخ قبيلة عتيبة عبدالله بن فيصل بأن يقود الجيش بنفسه لتحويل الهزيمة إلى نصر.

استدعى عبدالله جميع أتباعه المخلصين وحلفائه، وزحف في نهاية عام ١٨٨٤م ضد ابن رشيد، ومن معسكره في الحمادة[2] أرسل خمسة وثلاثين جمّالاً بقيادة فيحان بن خضر العتيبي لتقصي الأخبار عن معسكر ابن رشيد، ولكن ابن رشيد اكتشف أمرهم فقتلهم جميعًا وتوجه بقواته كافة لمهاجمة الخصم وألحق به هزيمة حاسمة.

---

(١) عروى: بلدة تقع في جنوب غرب القويعية عند التقاء خط الطول ٣٨َ ٤٤ْ وخط العرض ٥٤َ ٢٣ْ، وفيها وقعة عروى بين محمد بن سعود بن فيصل ومعه عتيبة وبين محمد بن رشيد سنة ١٣٠٠هـ انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٦؛ ابن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، ج٣، ص ٩٣٩.

(٢) الحمادة: منطقة تقع عند خط الطول ٠٠َ ٤٥ْ وخط العرض ٤٨َ ٢٥ْ، وقد دارت وقعة الحمادة في روضة أم العصافير سنة ١٣٠١هـ، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٨؛ ابن جنيدل، المعجم الجغرافي، ج١، ص ٤٠٧، يوليوس أويتنج، رحلة داخل الجزيرة العربية، ص ٢٠٤-٢٠٥.

كانت تلك الهزيمة بمثابة النهاية للدولة السعودية (الثانية)، فالقبائل المختلفة بدأت تتطلع إلى الاستقلال، بينما أخذ أفراد الأسرة الحاكمة بمحاربة بعضهم بعضًا، فقدم أبناء الأمير سعود بن فيصل المتوفى قبل حين إلى الرياض، وقاموا بمحاصرة الإمام عبدالله بن فيصل. ومن أجل النجاة بنفسه طلب الإمام عبدالله مساعدة ابن رشيد للخروج من هذا المأزق، وسرعان ما لبى ابن رشيد نداءه وبرز في نهاية عام ١٨٨٤م[١] أمام الرياض، وتمكن من فك حصاره، وأجبر أبناء سعود بن فيصل على التقهقر إلى الخرج، كما جعل عبدالرحمن بن فيصل حاكمًا على الرياض، وجعل أخاه محمدًا قائدًا للجيش، ثم قفل راجعًا بصحبة الإمام عبدالله إلى حائل[٢].

ولكن أمير حائل لم يكن - آنذاك - يثق بولاء عبدالرحمن ومحمد له، فأرسل حامية تتكون من خدمه المخلصين، بقيادة الجسور سالم السبهان كي تعسكر في الرياض.

قام سالم في البداية بتنفيذ جميع رغبات حاكمي الرياض، عبدالرحمن ومحمد، وتصدى لجميع مناوئيهم، وخصوصًا أبناء الإمام سعود ابن فيصل المتوفى قبل حين، والذين استقلوا بمنطقة الخرج وأخذوا من هناك يتحرشون بالرياض من دون أن يتمكنوا من شن هجوم شامل عليها. وبذلك أصبح أبناء الإمام سعود بن فيصل يشكلون خطرًا حقيقيًا على الأمير ابن رشيد، لذلك قرر سالم القضاء عليهم بواسطة الحيلة، حيث قام

(١) الصحيح في عام ١٨٨٧م الموافق ١٣٠٥هـ.

(٢) انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، أحداث سنة ١٣٠٥هـ، ص ١١٢.

في نهاية عام ١٨٨٧م (١٣٠٥هـ) بزيارة لهم بصحبة عدد قليل من المرافقين، ولكنه من جانب آخر أمر مئات من رجاله بأن يتبعوه في الخفاء كي يكمنوا بالقرب من مقر إقامة أبناء سعود بن فيصل، حيث قاموا مع طلوع الشمس بمهاجمة أبناء سعود فقتلوا محمدًا وسعدًا[١]، وأسروا أفراد أسرهم بما في ذلك أخوهم عبدالعزيز وأحضروهم إلى حائل، وسجنوا هناك. وبنجاح هذه الخدعة ظنَّ الجميع أن الحكم أصبح الآن محكمًا في قبضة الإمام عبدالرحمن، ولكن سرعان ما ظهرت الحقيقة لتبين أن الإمام عبدالرحمن أصبح الآن أكثر تبعية لسالم وابن رشيد. في هذه الأثناء لم يكن عبدالرحمن وأخوه محمد يأبهان بالأمور السياسية، بل كانا يبذلان كل الجهد لرفع مستوى المعيشة للأهالي رغبة منهم في كسب ولائهم، ومع مرور الوقت هدأت الأوضاع وأصبحت المشاكل الداخلية في البلدان وعند القبائل تحسم سلميًا، فعاد بذلك النظام، وازدهرت التجارة، والتف عدد كبير من أفراد الأسرة الحاكمة حول عبدالرحمن. ولكن ابن رشيد أراد أن يقطع على عبدالرحمن هذه التطورات السلمية، لذلك طلب من عبدالله بن فيصل الذي يقيم في حائل العودة إلى الرياض، ولكن عبدالله الذي فقد في خضمّ هذه الأحداث ابنه الوحيد تركي[٢] لم يجد من يناصره، وفضَّل الحياة في

(١) كان ذلك في يوم الخميس الأول من ذي الحجة سنة ١٣٠٥هـ، وقد قتل بالإضافة إلى محمد وسعد أخوهم الثالث عبدالله، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٢.

(٢) توفي الأمير تركي بن عبدالله بن فيصل في حائل سنة ١٣٠٧هـ، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٢.

كنف إخوته حتى مماته في ١٨٩٠م[1].

بدأ في هذه الأثناء نجم عبدالرحمن بالصعود، وسرعان ما تعالت الأصوات مطالبة بالاستقلال، ولكنَّ محمداً، الذي لم ينجب أطفالاً، وجه جهوده إلى الأعمال الزراعية، وإلى القيام في بعض الأحيان بشن الغارات الخاطفة على القبائل المعادية، كما لم يكن يأبه بالحصول على لقب الحاكم، أما أخوه عبدالرحمن فكان شخصية محبة للسلام، وكاد أن يقتنع بما آلت إليه الأمور لولا أن ابنه الأكبر عبدالعزيز[2] ظلَّ يحفزه على القيام بهجوم ضد ابن رشيد.

كان الفتى الصغير عبدالعزيز يشعر دوماً بالضيم الذي لحق بأسرته آنذاك، فظلَّ يسعى للبحث عن مناصرين من رفقاء سنه، ليس في الرياض فحسب، بل في عنيزة وبريدة وأماكن أخرى مختلفة. لقد كان الشباب يسمعون - آنذاك - عن بطولات أجدادهم بقيادة حكام آل سعود الشجعان، كما كانوا يتحينون الفرصة المواتية لإعادة تلك الأمجاد الخالدة، لذلك هبوا بكل حماس للانضمام إلى عبدالعزيز سليل بيت آل سعود، وفي خضم هذا الحماس كان الآباء وخصوصاً عبدالرحمن نفسه يحاولون توجيه النصيحة

---

(١) توفي الإمام عبدالله بن فيصل بعد وصوله إلى الرياض بصحبة أخيه عبدالرحمن بيومين، في يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني سنة ١٣٠٧هـ الموافق ١٨٨٩م، انظر ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٣.

(٢) هو : عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، ولد في الرياض في التاسع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٧م.



الملك عبدالعزيز والشيخ خزعل في البصرة عام ١٩١٦م





الملك عبد العزيز والشيخ مبارك عام ١٩١٠م



الملك عبد العزيز وبيرسي كوكس عام ١٩١٦م

للحد من ذلك الحماس المتأجج، لإدراكهم قوة ابن رشيد التي يصعب قهرها آنذاك.

كان سالم السبهان يعلم بتحركات عبدالعزيز، ولكنه لم يتدخل، لأنه كان يشعر بالأمن التام في ظل وجود عبدالرحمن، ولكن حماس شباب الرياض لم يتراجع، ففي نهاية خريف عام ١٨٩٠م (حادي عشر من ذي الحجة سنة ١٣٠٧هـ) هاجموا قوات ابن رشيد المرابطة في قلعة الرياض، فحاصروها حتى أنه لم يتمكن أحد من الخروج منها، ولم ينج منهم سوى سالم السبهان الذي كان - آنذاك - حذرًا ويلجأ دومًا إلى استبدال منامه الليلي، وقد كان في أثناء الهجوم نائمًا في إحدى حدائق منازل الرياض، الأمر الذي مكنه من الهرب إلى حائل[1]، حيث فاجأ ابن رشيد بالخبر، وسرعان ما استدعى محمد بن رشيد خدمه ومئات من أهالي حائل وتوجه مسرعًا نحو الرياض لتخليص أتباعه. وبينما كان ابن رشيد في طريقه إلى الرياض همّ الشباب في عنيزة وبريدة بقطع الطريق عليه، ولكن كبار السن هناك نصحوهم بعدم مهاجمته. وهكذا دخل ابن رشيد الرياض فجأة، فأسرع عبدالعزيز ومناصروه إلى الخروج من الرياض[2]، بينما طلب كبار السن الصلح.

---

(١) انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٣، الذي يذكر أن سالم السبهان لم يذهب إلى حائل، بل كان ممن حوصروا في قصر الرياض.

(٢) ما يقوله المؤلف هنا تنقصه الدقة، إذ إن عبدالعزيز بن عبدالرحمن لم يخرج من الرياض، فالمصادر التاريخية تذكر أنه في أثناء محاصرة ابن رشيد الرياض في سنة ١٣٠٨هـ، خرج إليه وفد من بينهم الملك عبدالعزيز نفسه وعمره =

كان ابن رشيد - آنذاك - يشعر بضعف قوته، لذلك لم يعاتب أحداً منهم، بل كر عائداً إلى حائل على وجه السرعة، لأنه لم يكن مستعداً للمواجهة، وخصوصاً عندما علم أن عبدالعزيز يؤجج النار ضده، وأن كبار السن من أهل الرياض وعنيزة وبريدة يساندون هذه الحركة الشبابية خشية على أنفسهم منها. وهكذا جمع عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز حاضرة القبائل المختلفة، فاتحدوا جميعًا، وفي بداية عام ١٨٩١م (١٣٠٨هـ) تحرك الجميع نحو الشمال، فأغاروا على البلدان والفصائل الموالية لابن رشيد.

وهناك كان حسن بن مهنا أمير بريدة، وزامل السليم أمير عنيزة، إضافة إلى شيوخ آخرين من منطقة القصيم ينتظرون قوات عبدالرحمن بن فيصل المتحالفة، كي يقوموا سويًا بالقضاء على إمارة ابن رشيد.

في هذه الأثناء شعر الأمير محمد بن رشيد بعظيم الخطر المحدق به، لذلك بعث أربعين رجلاً ممتطين أربعين ناقة، كانت مغطاة بملاءات من القماش الأسود، إلى عشائر قبيلة شمر المتعددة، التي كانت خلال تلك الفترة تقطن الجانب الأيمن من نهر الفرات، في المنطقة الواقعة بين كربلاء والبصرة، وكان الأمير محمد بن رشيد يهدف من تغطية النوق بملاءات

= - آنذاك - لم يتجاوز الخمسة عشر عاماً للتفاوض معه، وقد اتفق الطرفان على تبادل الأسرى، وأن يبقى الإمام عبدالرحمن حاكمًا على منطقة العارض والخرج والمحمل وسدير والوشم والحوطة والحريق والأفلاج ووادي الدواسر. انظر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ١٤٨.

سود إلى إحاطة كل فرد من أتباعه علمًا بأن يغطي كل شخص منهم وجهه بالعار الأسود، إذا هو لم يهب مسرعًا لمساندة أميره. نعم فالكرامة هي أعز ما يملكه العربي، وليس ثمة مساومة على فقدانها، وهكذا أسرع كل من له قدرة على حمل السلاح من الرجال إلى حائل، فزحفوا جميعًا بقيادة محمد بن رشيد ضد الخصم، فالتقى الجمعان في المليداء[1] بين عنيزة وبريدة.

وهناك في المليداء دارت معركة دموية طويلة، كاد أن يخسر فيها ابن رشيد رايته الحمراء، ولكن ذلك الخادم الصغير عبدالله الفريح[2] الذي كان والده مبارك يتولى حمل الراية تمكن من اللحاق بوالده حينما أحاط به الخصم وأرداه قتيلاً، فانتزع الراية منه واحتفظ بها إلى يومنا هذا.

وفي نهاية الأمر تمكن ابن رشيد من خلال حيلة منظمة من اختراق صفوف الخصم، إذ أطلق ثلاثة آلاف جمل في صفوف متراصة خلف بعضها، وفي رقاب جمال الصف الأخير علق أجراسًا أثارت الرعب في الجمال المتقدمة، فانطلقت مسرعة نحو صفوف وسط الخصم ومن خلفها سار محاربوه، وطوقوا الخصم من الأجنحة، ومن هاجمهم قتلوه، ومن استسلم اقتادوه أسيرًا. وفي هذه المعركة قتل أمير عنيزة[3] وابنه وخمسة من أقربائه، بينما فقد أمير بريدة[4] ذراعه اليسرى، أما عبدالرحمن وأخوه

(١) المليداء: منطقة تقع شمالي غرب عنيزة، ووقعة المليداء كانت في ثالث عشر من جمادى الآخر سنة ١٣٠٨هـ، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٤.

(٢) المعروف أن اسمه عبدالله الفريخ.

(٣) وهو : زامل بن عبدالله السليم.

(٤) و هو : حسن بن مهنا.

فقد أسرا[1]، بينما تمكن عبدالعزيز من الانسحاب.

لم يلبث عبدالرحمن طويلاً، حتى عاد إلى الرياض، ولكن هذه المرة تابعًا لابن رشيد، وتحت حماية عامله الفطن سالم السبهان، ولكنه لم يتمكن، بل لم يرغب أن يكون أداة في يد من كان فيما مضى تابعًا لأجداده، لذلك سرعان ما خرج من الرياض[2]، فاتجه عبر الهفوف إلى بغداد، ومن هناك أرسل قريبه عبدالله بن ثنيان إلى إستانبول، كي يطلب مساندة السلطان العثماني لبيت آل سعود. لقد عاد عبدالله بن ثنيان من إستانبول محملاً بكثير من الهدايا والوعود إلى عبدالرحمن.

أدرك الإمام عبدالرحمن أن العثمانيين لا يرغبون في مساندته، أو على الأصح أنهم لا يريدون الدخول في ملابسات جديدة مع بريطانيا في

---

(١) الصواب أن الإمام عبدالرحمن لم يؤسر في هذه المعركة، بل إنه لم يتمكن من المشاركة فيها، فقد حسم ابن رشيد المعركة قبل وصول الإمام عبدالرحمن لنجدة أهل القصيم، فبينما كان الإمام في طريقه إلى القصيم بالقرب من الخفس علم بخبر هزيمتهم، لذلك عاد إلى الرياض، ثم خرج منها إلى بادية العجمان، ولكنه عاد مرة أخرى بعد أن جمع قواته فهاجم بلدة الدلم وتوجه إلى الرياض التي لم يمكث فيها طويلاً، ثم غادرها إلى بلدة المحمل، ثم التقى مع ابن رشيد في معركة حريملاء سنة ١٣٠٩هـ، وبعد هزيمته غادر من جديد إلى بادية العجمان، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٤.

(٢) الصحيح أن الإمام عبدالرحمن خرج من الرياض بعد وقعة المليداء مباشرة في سنة ١٣٠٨هـ، بصحبة أفراد أسرته وابنه عبدالعزيز، وتذكر أغلب المصادر الموثوقة بأنه حينما رفضت الدولة العثمانية إقامته في الأحساء توجه إلى البحرين ثم قطر التي مكث فيها بضعة أشهر، ومنها غادر إلى الكويت في سنة ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٢م.

المنطقة، وهنا توجه بصحبة عائلته للإقامة عند مبارك بن صباح أمير الكويت.

وبعد خروج عبدالرحمن من الرياض، جعل ابن رشيد أخاه محمدًا حاكمًا على الرياض، ولكي يقطع إمكانية الخروج عليه قام ابن رشيد بتدمير القلعة وهدم سور الرياض الخارجي[1]، كما أقام في جميع الأماكن الموالية لمحمد بن فيصل حامية صغيرة، وكان يقف على رأس قوات ابن رشيد المرابطة في الرياض سالم السبهان، ومنذ عام ١٨٩٦م (١٣١٤هـ) استبدل بخادم آخر يدعى عجلان[2].

وهكذا أصبح محمد بن فيصل لا يملك من الحكم سوى اسمه، بينما الحاكم الحقيقي هو ابن رشيد، الذي كان أيضًا يسعى جاهدًا لضم بقية مناطق دولة آل سعود، إذ كان يوجه غارات سنوية ضد الممتنعين عن دفع الزكاة من أتباع تلك الدولة، أما المتمردون والخطيرون منهم فكان ابن رشيد يقتلهم أو يهجّرهم إلى حائل، وهكذا تمكن ابن رشيد من إجبار الجميع على التزام الهدوء.

وعندما توفي محمد بن رشيد[3]، سرعان ما قامت الثورات في أرجاء متعددة من دولته، الأمر الذي اضطر خليفته عبدالعزيز[4] للمحاربة دون

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند، ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٥.

(٢) هو : عجلان بن محمد آل عجلان، انظر: الفرج، الخبر والعيان، ص ٣٨٣.

(٣) توفي الأمير محمد بن رشيد في الثالث من شهر رجب سنة ١٣١٥هـ، انظر: ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١١٥، وضاري الرشيد، نبذة تاريخية، ص ٥٢.

(٤) هو : عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن رشيد.

انقطاع. ومما زاد من صعوباته أولئك النفر من أسرة آل سعود[1] الذين قام بنفسه بإطلاق سراحهم، فقد كانوا يرغبون في العودة إلى الرياض، ويتطلعون أيضًا إلى حكم المنطقة، وذلك من خلال مساعدة ابن رشيد لهم في إقصاء أمراء المدن والقرى المحليين، وحينما لم يحقق ابن رشيد مطالبهم، اتجهوا إلى خصومه، وبدؤوا يثيرون القلاقل في كل مكان، بل إن بعضًا من هؤلاء المنتمين إلى أسرة آل سعود، توجهوا نحو مكة، وقاموا بمساندة من شريفها وعون أتباعه من قبيلة حرب وعتيبة بشن غارات حربية ضد عدد من بلدان نجد.

ونظرًا لكون عبدالعزيز بن رشيد ما زال يتابع - آنذاك - حروبه ضد أمير الكويت[2] وقبائل أخرى، فقد أهمل تدبير الأوضاع في دولة آل سعود، الأمر الذي أشعل الحروب الأهلية فيها، وأصبح الأهالي (الحاضرة) يتطلعون إلى يدٍ حديدية تحفظ أرواحهم وممتلكاتهم. فكانت أعين هؤلاء، وخصوصًا المتنفذين منهم، تتطلع صوب الكويت، حيث يقيم عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ذلك الشاب الذي لا يشغله سوى هدف واحد، هو استعادة ملك أجداده.

لقد كان عبدالعزيز يملك إمكانات كبيرة لكسب أصدقاء مخلصين في الرياض، وفي أماكن أخرى مختلفة، فقد كانت الكويت منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بمنزلة المركز المفضل ونقطة النهاية لتجارة الرياض، وبما أن مبارك الصباح أمير الكويت آنذاك، وكذا ممثل الدولة البريطانية

(١) يقصد المؤلف هنا أحفاد الإمام سعود بن فيصل.

(٢) كان حاكم الكويت - آنذاك - الشيخ مبارك الصباح.

يؤيدون خطط عبدالعزيز[1]، لذلك دأب عبدالعزيز على مدّ يد المساعدة لكل من قدم للبيع والشراء في الكويت، فكان يمدهم بالسلاح والذخيرة، وهكذا مهّد عبدالعزيز الأرض لهجومه المرتقب على الرياض.

قرر ابن رشيد في نهاية عام ١٩٠١م (١٣١٨هـ) بضرب حاكم الكويت ضربةً قاضية، مما أدى إلى زعزعة قواته المرابطة في الرياض ومناطقها، وعمّ التمرد جميع المناطق التي كانت فيما مضى خاضعة لدولة آل سعود. في هذه الأثناء خرج عبدالعزيز من الكويت بسِرِّية تامة[2]، فوصل الرياض بسلام، حيث فاجأ عجلان حاكم الرياض فقتله، وقضى على جميع أتباعه، وتمت مبايعته بالإجماع إمامًا على البلاد في بداية عام ١٩٠٢م[3].

أرادت الحكومة العثمانية في هذه الأثناء استغلال فرصة الحرب الدائرة بين عبدالعزيز وابن رشيد لكي تثبت أقدامها في منطقة القصيم، وقد شجعها على ذلك بعض أهل القصيم أنفسهم الذين كانوا يعانون كثيرًا

---

(١) لم يعرف من خلال رواية المصادر أن بريطانيا كانت تؤيد عبدالعزيز في تلك الفترة.

(٢) خرج الملك عبدالعزيز من الكويت لاستعادة الرياض ومعه ما يقارب ستين رجلاً من اقربائه ومؤيديه في شهر ربيع الآخر من سنة ١٣١٩هـ، انظر: الطريق إلى الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

(٣) دخل الملك عبدالعزيز الرياض في مساء يوم الرابع من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ، وفي فجر اليوم الخامس اقتحم ورجاله قصر المصمك، وبعد مقتل عجلان، عامل ابن رشيد في الرياض، أعلن من سطح المصمك بأن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن.

من وطأة القتال سنوات طويلة، وكذلك أيضًا من قبل الأمير ابن رشيد نفسه الذي كان يأمل في استغلال القوات العثمانية المرابطة في القصيم لتحقيق مآربه.

تحركت على إثر ذلك في بداية عام ١٩٠٥م (١٣٢٢هـ) قوات برية بقيادة الجنرال أحمد فيضي باشا، باتجاه قلب جزيرة العرب قادمة من بابل[١]، وكان في صحبتها فهد بن هذال شيخ عشيرة الصقور من عنزة. وهناك عند منهل الشيحيات[٢]، الواقع على طريق الحجاج، كان الأمير عبدالعزيز بن رشيد في انتظارهم الذي ما لبث أن طلب من أحمد فيضي أن يعاونه على مهاجمة عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، وإخراجه من الرياض. ولكن تقييم أحمد فيضي للموقف أملى عليه عكس ذلك، إذ إنه رأى أن من مصلحته أن يتحد مع عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود القوي، ولا سيما أنه أبدى استعداده لدفع الضرائب المطلوبة منه. وقبل وصول أحمد فيضي باشا قام عبدالعزيز آل سعود بجمع نصف جنيه عثماني أو جنيه بأكمله من كل صاحب خيمة أو بيت لدفعها لأحمد فيضي، فلم يكن من أحمد فيضي إلا أن سعد كثيرًا عندما تسلَّم من عبدالعزيز جزءًا من المبلغ في معسكره في أثال[٣]. وهنا تخلَّى أحمد فيضي عن عبدالعزيز بن رشيد

(١) المراد : بغداد.

(٢) الشيحيات: تقع على طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة)، وتبعد مسافة ٧٠كم جنوب مدينة رفحاء، عند خط الطول ٢٩َ ٤٣ْ وخط العرض ٠٢َ ٢٩ْ.

(٣) أثال : تقع في منطقة القصيم بالقرب من الجواء، وهو اسم قديم قلبه العامة إلى وثال، وتقع على خط الطول ٤١َ ٤٣ْ وخط العرض ٣١َ ٢٦ْ.

بلا رحمة، لأنه لم يقدم له هدية مماثلة، ليس ذلك فحسب بل هدده بسلب جميع المناطق الواقعة تحت سيطرته، إذا لم يف بواجبه في الفترة القادمة. توجه أحمد فيضي من أثال إلى عنيزة، وهناك استقبله عبدالعزيز بن سليم بترحاب شديد، واستضافه مدة ثلاثة أسابيع متتالية. وبعد ذلك غادرها إلى صالح المهنا في بريدة، وبقي عنده أكثر من شهرين. وخلال هذه الفترة أخذ أحمد فيضي ينشر حامياته في جميع نواحي منطقة القصيم، إذ كان يرابط في بريدة خمسون رجلاً، وفي عنيزة مثلهم، أما في بقية المدن الأخرى فكان يرابط في كل واحدة منها ثلاثون رجلاً، ولم يسمح لهؤلاء الجنود بالإقامة في داخل المدن نفسها، بل كان لا بد من إنشاء ثكنات لهم خارج أسوار المدن.

كان الأمير عبدالعزيز بن رشيد في هذه الأثناء يخشى هجومًا من قبل أحمد فيضي، لذلك أقام له ولجنوده معسكرًا في القوارة[1]، وأخذ يراقب منها تحركات القوات العثمانية.

وبناء على تعليمات أصدرها الجنرال أحمد فيضي كان على القوات العثمانية، ما عدا تلك التي كانت ترابط في القصيم، مغادرة المكان والرجوع إلى بابل[2]، أما أحمد فيضي نفسه فتوجه على ظهور الجمال بصحبة عدد قليل من أتباعه إلى المدينة. لم تكن رحلة عودة القوات العثمانية إلى بابل[3]

---

(١) القوارة : بلدة تقع شمالي غرب بريدة، عند خط الطول ٢٨َ ٤٣ْ وخط العرض ٤٧َ ٢٦ْ.

(٢) المراد : بغداد.

(٣) أي : بغداد.

سهلة، فالشيخ ابن هذال[1] الذي ساندهم في رحلة القدوم عن طريق إمدادهم بالجمال لم يعد مقيمًا في المكان نفسه. كذلك عبدالعزيز بن رشيد الذي كان حليفًا لهم في البداية، أخذ يعاملهم معاملة الأعداء، وأما عبدالعزيز بن عبدالرحمن فلم يعرهم أي اهتمام، كما أجبرهم أهل القصيم على مغادرة المكان. وهكذا تجمع الجنود العثمانيون في بلدة الشيحية الواقعة في الطرف الشمالي الشرقي من القصيم[2]، وتمكن بعضهم من الوصول إلى مناهل الشيحيات، والبعض الآخر لم يتمكن سوى من الوصول إلى واقصة[3]، أما البقية فأخذوا يتسولون في البادية من مخيم إلى آخر.

بعد عودة أحمد فيضي باشا من جزيرة العرب تلقى سامي باشا[4] أمرًا بالتوجه على الفور إلى القصيم، حيث غادر عبر مسار سكة حديد الحجاز، ولكنه بعد وصوله إلى المدينة لم يتمكن من مواصلة رحلته بسبب نفاد الغذاء والذخيرة. وبعد مرور ستة أشهر تلقى أوامر صارمة من

---

(١) شيخ عشيرة الصقور من عنزة.

(٢) الصحيح أن الشيحية تقع شمالي غرب عنيزة عند خط الطول ٣٧َ ٤٣ْ وخط العرض ١٤َ ٢٦ْ.

(٣) واقصة: بلدة تحمل الاسم نفسه حتى اليوم، وهي تقع على طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (درب زبيدة)، ويقول عنها ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٠٧ : "واقصة منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة لبني شهاب من طيء".

(٤) هو : سامي الفاروقي، الذي أوكلت له الدولة العثمانية في سنة ١٣٢٤هـ قيادة حملة من المدينة المنورة إلى القصيم.

إستانبول، فغادر المدينة دونما أسلحة كافية وبجنود متعبين عبر الحناكية، ثم الفوارة[1] حتى القصيم، وعندما وصل إلى هناك في بداية عام ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) كان كثير من الجنود قد فروا من الخدمة بسبب ما حل بهم من الجوع والعطش، حتى أنه لم يتبق معه سوى خمسمائة رجل.

كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن، قد تمكن خلال هذه الفترة من هزيمة عبدالعزيز بن رشيد والقضاء عليه[2]، وضمَّ عدداً من بلدان القصيم. وهنا قام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بإغداق الهدايا على سامي باشا الذي تلقاها في هذا الوقت العصيب بالنسبة إليه وإلى قواته بسعادة فائقة الوصف.

كانت القوات العثمانية التي طُردت من عدد من بلدان القصيم، قد تجمعت في الشيحية، تنتظر الخلاص، وعندما وصل سامي باشا في مطلع عام ١٩٠٦م (١٣٢٤) إلى ذلك المكان، رأى أكثر من ألف جندي عثماني يعانون من المرض، وهم عُزَّل من السلاح والذخيرة التي اضطروا إلى مقايضتها بالغذاء. وبهذه القوات لم يكن بمقدور سامي باشا القيام بمحاربة عبدالعزيز أو ابن رشيد، أو حتى دخول المدن المحصنة في القصيم، بل إنه سيشعر بالسعادة إذا ما استطاع الخروج من قلب جزيرة العرب، وهو على قيد الحياة.

---

(١) بلدة تقع غرب البكيرية في محافظة القصيم.

(٢) الإشارة هنا إلى معركة روضة مهنّا التي وقعت في ليلة السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٢٤هـ. انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ١٠٠-١٠٥.

قام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بزيارة سامي باشا في الشيحية، وأمده بما يحتاجه من ضروريات وأخرجه إلى المستجدة[1] في أقصى الجنوب، تلك البلدة التي كانت آنذاك تخضع للأمير متعب بن رشيد الذي ضاق ذرعًا بوجود سامي باشا وجنوده عنده.

وعلى الرغم من أن سامي باشا قد بعث إلى المدينة عددًا من الرسائل يطلب فيها مده بالعون العاجل من إستانبول، إلا أنه لم يتلق الاهتمام من أي شخص، لذا رجع في صيف عام ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) إلى المدينة وتقاطر جنوده من خلفه.

وهكذا مع حلول عام ١٩٠٦ (١٣٢٤هـ) عادت منطقة القصيم بكاملها مرة أخرى تحت حكم الدولة السعودية.

تعرضت في هذه الأثناء قوات ابن رشيد إلى هزيمة أخرى، الأمر الذي اضطره في عام ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) إلى عقد معاهدة صلح مع عبدالعزيز ومبايعته[2].

وجه عبدالعزيز اهتمامه نحو الجنوب والجنوب الغربي، فكان النصر حليفه في مواجهة حكام تلك المناطق المتفرقة الواحدة تلو الأخرى، الأمر الذي مكنه من بسط نفوذه على الأجزاء القريبة من عُمان، وهناك مدّ يد العون للمتذمرين من أهل المنطقة، فأصبح بذلك عقبة أمام حاكم مسقط فيصل وخليفته تيمور.

---

(١) المستجدة : بلدة في جنوب حائل، عند خط الطول ٤٠َ ٤٩ْ وخط العرض ٣٨َ ٢٦ْ.

(٢) انظر تفاصيل ذلك عند: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ١٢٢-١٢٣.

وعلى الجانب الغربي والجنوب الغربي فقد أثارت حملات عبدالعزيز الحربية شكوك حسين بن علي بن عون[1] الذي عُيِّن في نهاية عام ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) شريفًا على مكة، وبما أن عددًا من عشائر قبيلتي عتيبة وحرب التي كانت آنذاك تقطن تلك المناطق مضطرة أن تدفع له الزكاة، وتمد يد العون له، لذا فقد جهز الشريف بمساعدة الحكومة العثمانية عددًا من الحملات ضد القبائل التابعة لعبدالعزيز. وقد كان الشريف في هذه الأثناء يسعى إلى صرف خطر عبدالعزيز عنه عن طريق استغلال أتباعه، فكان تحقيق هذه المهمة أمرًا سهلاً. فمن المعروف أن عبدالعزيز آل سعود بقدر ما كان صارمًا ضد الخارجين عليه، كان أيضًا لا يرغب في إعطاء أفراد أسرته الحاكمة أي امتيازات، وبما أنه بعد وفاة الإمام فيصل[2] قد تمكن بعض من أفراد عائلة آل سعود من إقامة إمارات مستقلة إلى حد ما، إلا أنهم أُجبروا على طاعة عبدالعزيز آل سعود. وكان أشد مقاومة قاموا بها تلك التي خاضها أحد أحفاد الإمام سعود بن فيصل الذي أخذ بمساعدة اثنين من إخوته يحرض بصفة مستمرة عشائر قبيلة سبيع ضد حاكم الرياض. وعندما هزمت هذه العشائر، فرَّ أحفاد الإمام سعود بن فيصل إلى الشريف حسين الذي قدم لهم الحماية. في هذه الأثناء طالب عبدالعزيز الشريف بتسليم أقربائه الخارجين عليه، ولكن الشريف قام بتزويد سعود وأتباعه بالذهب والسلاح ثم أرسلهم إلى العشائر المناوئة

---

(١) هو : الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون، مولده في سنة ١٢٧٠هـ ووفاته في سنة ١٣٥٠هـ.

(٢) أي : الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله.

لعبدالعزيز من قبائل حرب ومطير العلِوّيين[1]، وانضموا إلى الشيخ ابن جبرين، فقاموا معه بغارات سلب داخل مناطق عبدالعزيز.

مُنع في عام ١٩١١م (١٣٢٩هـ) جميع الحجاج والقوافل التجارية القادمة من مناطق نفوذ عبدالعزيز من دخول مكة، ومن خلال ذلك تكبَّد عبدالعزيز خسائر ليست مادية فقط، بل معنوية أيضًا، كما تمرد بعض أتباعه، وكان آخرها تلك في منطقة القصيم التي يكاد يكون جميع سكانها ممن يعملون بالتجارة، بالإضافة إلى أن المقربين من الشريف قاموا بتوزيع الهدايا عليهم، ومدوهم بقوات مساندة، ولكن عبدالعزيز لم يدع فرصة للشريف وأعوانه، إذ قام القائم بأعماله في القصيم محمد بن جلوي[2] في مطلع عام ١٩١٢م (١٣٣٠م) بالقضاء على أتباع الشريف في منطقة القصيم.

كلما ازدادت دولة عبدالعزيز اتساعًا وقوة، تاق شوقًا إلى إقامة طرق اتصال تخدم التجارة من دون معوقات مع العالم الخارجي، لقد كان مواطنوه يحتاجون إلى أسواق يصرفون فيها بضائعهم المختلفة كالصوف، وجلود الحيوانات، والسمن (الزبدة)، وأغطية السروج، والمعاطف، والبارود، والشياه، والماعز والجمال وغيرها، مقابل حصولهم على السلاح والذخيرة والأقمشة وغيرها. لذلك لم يتبق أمامهم سوى الطريق إلى بابل[3] والخليج العربي بعد أن أُغلقت أمامهم أسواق الحجاز. ولكن ذلك لم يكن سهلاً، ففي

(١) أي: مطير علوى.

(٢) الصحيح هو الأمير عبدالله بن جلوي.

(٣) أي: بغداد.

بابل[1] وبالقرب من جميع السواحل المطلة على الخليج العربي يعمل موظفون عثمانيون، وقد كان هؤلاء يراقبون قوة عبدالعزيز المتزايدة بعدم ارتياح، ويعملون على وضع العراقيل أمامه. وقد شجع موقف الحكومة العثمانية هذه القبائل الرعوية القاطنة على الضفة اليمنى لنهر الفرات من اقتناص أي فرصة للإغارة على القوافل التجارية الصغيرة القادمة من مناطق الدولة السعودية ونهبها، والإساءة إلى مرافقيها.

وفي خضم هذه الأحداث عُثر في نهاية عام ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) على خمسة من أعيان مواطني عبدالعزيز في المناطق الخاضعة للنفوذ العثماني بعد أن اعتدي عليهم وسلبوا من قبل أفراد عشيرة البدور الخاضعة لنفوذ الحكومة العثمانية آنذاك، بل قيدت أيديهم وأرجلهم ودفنوا في الرمال حتى أعناقهم التي دهنت بالسمن، ثم تركوا حتى هلكوا من جراء العطش ولهيب الصحراء ونهم الحشرات. لم يتوان عبدالعزيز في تقديم احتجاج لدى والي البصرة على هذا الجرم، وطالب بالتعويض، بيد أنه لم يتلق أي رد على مطلبه، لذلك أسرع عبدالعزيز ليأخذ بالثأر، حيث قامت فيالق من جيشه بغارة على الأجزاء التابعة لوالي البصرة من منطقة الأحساء، وقد أسفرت تلك الغارات عن نتائج وخيمة.

لقد كانت سيطرة قبيلة المنتفق على الأوضاع محكمة إلى حد ما، وكانت قادرة على إخماد أي تمرد في الحال، طالما كانت على وئام مع الحكومة العثمانية. كان شيوخ المنتفق وهم من سلالة آل سعدون منذ فترة أعداء لحاكم البصرة الذي ينتمي إلى طبقة النبلاء، لذلك سادت بينهما

(١) أي : بغداد.

خصومة مستمرة، الأمر الذي جعل كلاً منهم يسعى إلى كسب دعم الحكومة في إستانبول. ولما تمكن السيد رجب مارشال البصرة المنحدر من إحدى طبقات النبلاء في عام ١٩٠٢م (١٣١٩هـ) من التقرب من السلطان العثماني نجح في أن يُعيّن أحد أفراد طبقة النبلاء، وهو المدعو طالب[١] متصرفًا في الأحساء[٢]، ومنذ ذلك الحين أصبح إقليم الأحساء إقطاعًا تابعًا لطبقة نبلاء البصرة. في تلك الأثناء كان حكام البصرة وبالذات طالب (النقيب) - متصرف الأحساء - مدينين للبريطانيين، إذ إن الإنجليز قدموا لهم فرصًا كثيرة للكسب عن طريق الصادرات والواردات، الأمر الذي جعل حاكم البصرة يحاول جاهدًا خدمة المصالح الاقتصادية والسياسية للإنجليز.

ظل طالب يحكم إقليم الأحساء حتى نهاية عام ١٩٠٨م[٣]، وكان حاكمًا مستغلاً ومستبدًا، إذ كان يختلق الحجج الواهية لسلب السكان ونهبهم، حتى إن التجارة لا تزاول إلا بأمر من طالب نفسه أو أتباعه فقط، كما أقيل الموظفون النزهاء من مناصبهم، وأصبحت تقاريرهم المرفوعة للحاكم محط اتهام وكذب. فكان من الطبيعي أن يسفر ذلك عن زوال تعاطف الأهالي مع الدولة العثمانية.

---

(١) هو : طالب بن رجب بن محمد سعيد الرفاعي، سياسي عراقي ولد سنة ١٢٧٩هـ، ومات سنة ١٣٤٣هـ/ ١٨٦٢-١٩٢٩م، اشتهر باسم طالب النقيب، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢١٨.

(٢) عين طالب النقيب واليًا على الأحساء بين سنتي ١٣١٩ و ١٣٢٠هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢١٨.

(٣) المعروف أن طالب النقيب لم يحكم الأحساء سوى بين عامي ١٣١٩ و ١٣٢٠هـ، الموافق ١٩٠١ و ١٩٠٢م، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٢١٨.

عاد طالب (النقيب) في نهاية عام ١٩٠٨م[١] إلى البصرة رجلاً ثريًا، وحصل على رتبة مارشال وعُدّ أيضًا من طبقة النبلاء، كما عين عضوًا نيابيًا، وبعد فترة وجيزة أصبح الحاكم الفعلي لأهم مدينة تقع على حدود ممتلكات الدولة العثمانية[٢]، وبناء على أوامر أصدرها طالب نفسه في صيف عام ١٩١١م (١٣٣٠هـ) ألقي القبض على سعدون الأشقر[٣]، شيخ مشايخ قبيلة المنتفق الموالي أصلاً للدولة العثمانية، ورُحل إلى حلب وسجن فيها إلى أن وافته المنية (على الأرجح أوائل شهر ديسمبر من عام ١٩١١م) من جراء تجرعه سمًا. كما أن طالب أشاع أن ابنه وخليفته عجمي[٤] عدوًا للدولة العثمانية، ومن جراء ذلك اكتسب طالب باشا وحاكم البصرة نفوذًا في منطقة الخليج العربي لا حدود له، وهكذا أصبحت البصرة - آنذاك - مركزًا مهمًا للحركات المستقلة الموالية للإنجليز.

لقد بذل طالب أقصى جهده من أجل كسب مودة عبدالعزيز وأمير الكويت مبارك الصباح، ولكن من دون جدوى، فقد كان عبدالعزيز وأمير الكويت يظنان أن طالبًا لا يريد ضم البصرة فحسب إلى أراضيه، بل أيضًا ساحل الخليج المطل على الجانب العربي، بيد أنهما لم يبوحا بذلك، إضافة إلى أن شكوكهما تجاه طالب تزايدت من خلال ما باح لهما به أصدقاؤهم

(١) الصحيح في عام ١٩٠٢م، الموافق ١٣٢٠هـ.

(٢) أي : مدينة البصرة.

(٣) هو : سعدون بن منصور بن راشد السعدون، ولد سنة ١٢٧٤هـ، وتوفي قبل محاكمته في سجنه في حلب سنة ١٣٣٠هـ. انظر : الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ٨٩.

(٤) هو : عجمي بن سعدون بن منصور بن راشد السعدون.

المقربون من الإنجليز الذين أخبروهم بأن الإنجليز يحتاجون إلى طالب أداة لتنفيذ مخططاتهم، وليس عقلاً مدبرًا.

ثار غضب عبدالعزيز في هذه الأثناء لأن الموظفين الذين عينهم طالب (النقيب) لا يطيعون سوى أوامره، إضافة إلى معاملتهم المؤلمة لقوافل عبدالعزيز التجارية.

جهز عبدالعزيز في نهاية عام ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) قافلة تجارية كبيرة بقيادة ابنه تركي إلى الكويت، فما كان من والي البصرة ومن متصرف الهفوف إلا أن سمحا لها بالمرور، ولكنها هوجمت ونهبت أثناء مسيرها عند قلعة صاهود[1] التي كانت تقيم فيها حامية قوات الاحتلال العثمانية في الهفوف. وعلى الفور زحف عبدالعزيز بن عبدالرحمن بجيش تحت قيادته في النصف الثاني من شهر مايو عام ١٩١٣م (جمادى الأولى ١٣٣١هـ) إلى الهفوف، وقد انضم إليه في هذه الأثناء بنو خالد وأهالي عدد من القرى المختلفة، فما كان أمام قوات الاحتلال العثمانية سوى الاستسلام، فتم ترحيلهم عبر ميناء العقير، على متن عبّارة إلى البصرة، ومثل هذه النهاية كان مصير قوات الاحتلال العثمانية في القطيف. وعلى إثر ذلك أمر عبدالعزيز قواته بالمرابطة في مدن الأحساء الكبرى، كما عيّن محمد بن جلوي[2] أميرًا عليها. وبهذا الأسلوب تمكن عبدالعزيز - من دون صعوبات تذكر - من ضم الساحل الذي يبلغ طوله أربعمائة كيلو متر، ولم يجد

(١) تقع قلعة صاهود في الجهة الغربية من بلدة المبرز القديمة، ويعود بناؤها على الأرجح إلى أواخر القرن الحادي عشر الهجري.

(٢) الصحيح أن الذي عينه الملك عبدالعزيز أميرًا على الأحساء هو ابن عمه الأمير عبدالله بن جلوي.

مقاومة سوى من شيخ جزيرة قطر عبدالله بن قاسم آل ثاني[1] الذي قدم الحماية للحامية العثمانية الصغيرة هناك. أما حكام الموانئ الكبيرة الواقعة شرق قطر فقد قاموا بدفع الزكاة طواعية إلى عبدالعزيز الذي أصبح يسيطر على جميع الطرق التجارية في وسط الجزيرة العربية.

أصبحت المنطقة في نهاية عام ١٩١٣م (١٣٣١هـ) خاضعة لسيادة عبدالعزيز حتى ميناء رأس الخيمة ، فقام في حينه بتقسيم دولته إلى أربع مناطق هي: عُمان، والأحساء، والقصيم، والرياض.

لم يكن عبدالعزيز - رغم نصائح المقربين منه من الإنجليز والفرنسيين- يرغب في قطع علاقاته مع الحكومة العثمانية، لذلك بعث في نهاية عام ١٩١٣م (١٣٣١هـ) عبدالله[2]، وهو أحد أقربائه، إلى بغداد كي يشرح للحكومة العثمانية بواعث إجراءاته في الأحساء، ويخبرهم بعدم اعتراضه على حكم قلب جزيرة العرب وإدارتها باسم الخليفة والحكومة العثمانية. وفي بادئ الأمر لم يقابل طلبه بالاهتمام[3]، وعلى إثر وصول

(١) الصحيح أن المعاصر لدخول الملك عبدالعزيز إلى الأحساء هو الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، وقد توفي سنة دخول الملك عبدالعزيز الأحساء عام ١٣٣٠هـ، وتولى من بعده ابنه الشيخ عبدالله الذي ولد عام ١٢٧١هـ، ومات سنة ١٢٧٦هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١١٤.

(٢) الصحيح أن الذي أرسل من قبل الملك عبدالعزيز إلى بغداد هو الأمير أحمد بن عبدالله بن ثنيان آل سعود، وقد كان الملك عبدالعزيز آنذاك يستعين به في إدارة شؤون دولته الخارجية، انظر : موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ص ٤٩٠.

(٣) انظر تفاصيل ذلك عند : الريحاني، نجد وملحقاتها، ص ٢٠٧.

مبعوثين إنجليز وفرنسيين[1] في عـام ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) إلى الرياض وإلى المناطق الساحلية أكدوا له استعدادهم لتأييده، بادرت الدولة العثمانية بإرسال ردها المتضمن تأييد عبدالعزيز[2]، فأصبح واليًا وقائدًا على منطقة نجد (قلب جزيرة العرب)، وتلقب بلقب «صاحب الدولة».

وعلى الرغم من تلقيه أعلى ألقاب الدولة العثمانية، إلا أن ابن رشيد الذي كان خاضعًا للحماية العثمانية، أعلن عليه الحرب، فبواسطة الأسلحة التي قدمتها الحكومة العثمانية لابن رشيد دار القتال في الأجزاء الشمالية من مناطق دولة عبدالعزيز.

في هذه الأثناء منع الشريف مواطني عبدالعزيز من دخول الحجاز، وقام ابن رشيد أيضًا بنهب قوافل عبدالعزيز المتجهة لأداء فريضة الحج، كما وضعت عشائر الظفير والبدور المتحالفة مع ابن رشيد العراقيل لإفساد أي اتصال تجاري لعبدالعزيز مع بابل[3]. وفي صيف عام ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) رفع عبدالعزيز شكوى بشأن تصرفات القبائل التابعة للحكومة العثمانية التي تنعم بتأييدها ضد مواطنيه، وطالب بغداد وإستانبول

---

(١) كان للملك عبدالعزيز علاقات غير رسمية مع الإنجليز عن طريق ممثلهم في الخليج وممثلهم في الكويت، أما فرنسا فلم يعرف أنه كان على اتصال بها.

(٢) على إثر تخوف الدولة العثمانية من قيام علاقات بين الملك عبدالعزيز وبريطانيا بعثوا إليه وفدًا برئاسة طالب النقيب الذي اجتمع بالملك عبدالعزيز في الصبيحية وأبدى له موافقة الدولة العثمانية على مده بالمال والسلاح مقابل اعترافه بالسيادة العثمانية، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ١٤٢.

(٣) أي : مع بغداد.

تلغرافيًا بأن على الحكومة العثمانية ألا تنال من شأن مواطنيه، ولكن كل هذه الجهود من قبل عبدالعزيز ذهبت سُدى.

وحينما قُطعت عليه الاتصالات التجارية في الجنوب الغربي، وفي الغرب، والشمال مع المناطق الخاضعة للدولة العثمانية لم يتبق أمام عبدالعزيز سوى طريق واحد مفتوح، وهو الطريق نحو الشرق، بيد أن هذا الطريق يؤدي إلى البحر، أي إلى الخليج العربي، وهي منطقة خاضعة للنفوذ الإنجليزي.

أثناء إقامة عبدالعزيز في الكويت التي استغرقت مدة طويلة(1) سنحت له فرصة كافية لمعرفة طبيعة الإنجليز عن كثب، وأدرك أنهم لا يقدمون أي مساعدة لأهل البلاد، إلا إذا كان ذلك سيعود عليهم بالنفع، لذلك لم يكن عبدالعزيز يرغب أن يُستغل من قبلهم، كما صرح هو بذلك قائلاً: بأنه لا يمكنه الثقة بالإنجليز ولا يقدر على محبتهم. إلا أن عبدالعزيز - على الرغم من ذلك - كان يرى أن صادرات بلاده ووارداتها متوقفة عليهم، لذا سعى إلى إقامة علاقات حسنة معهم، وكان يعامل مبعوثيهم بما يقتضيه أدب المعاملة الحسنة، كما كان يقبل منهم الهدايا، إلا أنه لم يكن يسمح لهم التدخل في شؤونه الداخلية.

استضاف عبدالعزيز في ربيع عام ١٩١٣/١٩١٤م (١٣٣١هـ) الوكيل

---

(١) انتقل الملك عبدالعزيز إلى الكويت في بداية سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م وخرج منها لاسترداد الرياض في ربيع الآخر سنة ١٣١٩هـ الموافق يوليو ١٩٠١م، انظر: الطريق إلى الرياض، ص ٤٧، ٣٧.

الإنجليزي في الكويت[1] الذي بذل كل الجهد لعقد معاهدة مع عبدالعزيز ضد العثمانيين، ولكن عبدالعزيز لم يرغب في الإقدام على هذه الخطوة المغرية.

وحينما انضمت الدولة العثمانية في نهاية خريف عام ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) إلى صف دول الاتحاد[2] في أثناء الحرب العالمية الأولى، اتصل النائب الإنجليزي[3] في الكويت على الفور بعبدالعزيز والتمس منه القيام بشن هجوم على الدولة العثمانية، وكان هذا هو الشيء نفسه الذي حاوله معه كل من مبعوث والي البصرة[4] وشيخ المحمَّرة[5]، بل وشريف مكة[6] أيضًا، ولكن عبدالعزيز أخذ يؤجل البت في الأمر وقتًا طويلاً بحجة أن ذلك ربما يكون مدعاة لنشوب القلاقل في دولته عند مغادرته لها. وقد كان في

(١) هو: الضابط البريطاني وليم شكسبير، ولد في البنجاب عام ١٨٧٨، و عين في سنة ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م وكيلاً سياسيًا في الكويت، وقتل في معركة جراب بين الملك عبدالعزيز والأمير سعود بن عبدالعزيز آل رشيد في الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ الموافق ٢٤ يناير ١٩١٥م. انظر: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ص ٦٤٦-٦٤٧.

(٢) اتحاد تشكل في الحرب العالمية الأولى من ألمانيا والنمسا-المجر والدولة العثمانية.

(٣) هو: بيرسي كوكس، المقيم السياسي البريطاني في الخليج، انظر: موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، ص ٥٠٤.

(٤) كان والي البصرة - آنذاك - سليمان شفيق كمالي باشا، أما مبعوثه إلى الملك عبدالعزيز فكان طالب النقيب.

(٥) شيخ المحمرة كان الشيخ خزعل.

(٦) أي الشريف الحسين بن علي.

الوقت نفسه يجمع جميع المعلومات حول الوضع الحقيقي للدولة العثمانية وحلفائها.

لقد كان عبدالعزيز مسلمًا صادقًا وعربيًا يسري في دمه عشق الاستقلال، لذلك أعلن على الملأ خيانة طالب مارشال البصرة، لأنه باع وطنه الأم للأجانب غير المسلمين. كما سفّه علنًا تصرفات شيخ المحمّرة الذي باع حريته مقابل عبوديته للإنجليز. أما شريف مكة فقد لاحقه ابن سعود في كل مكان باللوم، لأنه دنس مواطني عبدالعزيز بحكمه عليهم - حتى وقت قصير - بأنهم كفرة، وغير مؤمنين، ولأنه وضع الأماكن المقدسة في حماية الكفرة.

في ربيع عام ١٩١٥م (١٣٣٤هـ) بعث الشريف حسين ابنه عبدالله إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن لعرض صداقته عليه، وطلب مساعدته لإخماد حركة التمرد التي قام بها أقرباؤه ضده، ولكن عبدالعزيز رفض كل ذلك بحجة أنه لا يستطيع مساندته. في هذه الأثناء وجه عبدالعزيز مبعوثيه إلى ابن رشيد لعقد معاهدة صلح معه، وطلب منه مدّه بالأسلحة والذخيرة الموجودة في الواحات الخاضعة للنفوذ العثماني، كي يتمكن من التصدي لحلفاء الإنجليز، ولكن وزير ابن رشيد الذي كان الإنجليز يدفعون مرتبه بالعملة الذهبية لم يرغب في سماع أي شيء عن السلام. أما رشيد باشا، نائب ابن رشيد في دمشق[1]، والذي كان يتسلم مبالغ مالية من الفرنسيين، فقد سعى في كل مكان إلى بث الإشاعات المغرضة ضد عبدالعزيز.

لم يتمكن عبدالعزيز من التصدي للإنجليز، فهو وحده، ويجب عليه

(١) لم يكن في دمشق بل كان في الأستانة، وهو المعروف باسم رشيد بن ليلى.

منذ الآن الاعتماد على نفسه فقط، فالأعداء من حوله في كل مكان، هؤلاء الأعداء الذين كانت الحكومة العثمانية تؤيدهم إلى حد ما.

وهكذا التزم عبدالعزيز الحياد، ولكنه في الوقت نفسه سمح للقبائل التابعة له بالقيام بغارات على المتحالفين مع الإنجليز، كما طالبهم بمساندة عجمي شيخ قبيلة المنتفق. وقد كان عجمي على الرغم من أن الحكومة التركية نبذته قبل فترة قصيرة يتزعم كل من ظلّ ولاؤه وفيًا تجاه السلطان العثماني، ومن جانب آخر كان يندد بكل من هو حليف وصديق للإنجليز، لذلك كان ابن سويط، شيخ قبيلة الظفير وحليف ابن رشيد من ألدّ خصومه، أما أقرب أصدقائه فهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن، كما أن عجمياً ارتبط منذ عام ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) بصداقة مع سالم بن صباح ابن أمير الكويت.

توفي مبارك بن صباح في ٣ ينـاير ١٩١٦م[١] وترك بعده أولاده جابرًا[٢]، وسالمًا[٣]، وناصرًا[٤]، كان ناصر مولعًا بإنجلترا وحليفًا لها، كما

---

(١) توفي الشيخ مبارك في ٢١ محرم سنة ١٣٣٤هـ. انظر: سيف الشملان، من تاريخ الكويت، ص ١٨١، وليس كما ذكر الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٧٠، من أن وفاته في عام ١٩١٥م.

(٢) تولى جابر بعد وفاة أبيه مبارك، وكانت مدة ولايته سنة وشهرين، وتوفي في ٥ فبراير عام ١٩١٧م الموافق ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ. ، انظر: سيف الشملان، من تاريخ الكويت، ص ١٨٣.

(٣) خلف الشيخ سالم أخاه جابرًا، واستمر حاكمًا على الكويت قرابة خمس سنوات، حتى وفاته في ليلة الأربعاء ١٥ جمادى الثانية ١٣٣٩هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٢١م، انظر: سيف الشملان، من تاريخ الكويت، ص ١٨٣، ١٩٤.

(٤) الوصف الذي أطلقه المؤلف على ناصر ليس دقيقًا، لأن ناصرًا هذا كان كفيفًا، =

كان المارشال طالب من أقرب أصدقائه. لقد استطاع ناصر إثبات ذاته أمام سكان الكويت، بينما استمال أخوه سالم القبائل إلى صفه، وبمساعدتها أخذ يحارب أخاه ناصرًا وأتباعه، وعندما أمر عبدالعزيز بن عبدالرحمن بمساندة سالم آل صباح، أخذ جابر يحرض كل من سنيدان[1] بن حثلين، وابن منيخر شيخي عشائر العجمان القاطنة في شمال الأحساء ضد عبدالعزيز.

كان للمبعوثين الإنجليز والذهب الإنجليزي دور كبير في هذا الشأن، فجميعهم كانوا يريدون القضاء على عبدالعزيز، لأنه رفض محاربة القوات العثمانية والقبائل المتحالفة معها، وهكذا قرروا شن هجوم على دولة عبدالعزيز من ناحيتين، فكان على القبائل الموالية لجابر آل صباح وهم مطير والعجمان وبنو مُرة شن الهجوم من الشرق، أما قبائل حرب وعتيبة فكانت مسؤولة عن الهجوم من الغرب، إذ أمدها الشريف حسين بالأسلحة الإنجليزية والذهب الفرنسي، وقد وجد في ذلك فرصة لصب جام غضبه على حاكم الرياض، لأنه رفض تحقيق مطالبه، ولم يؤيده في خططه. وقد ظن الشريف حسين أن أحفاد الإمام سعود بن فيصل سوف يناصرونه ويتزعمون القبائل ضد الرياض، ولكنهم رفضوا التحالف مع حسين حليف غير المسلمين، بل إنهم عادوا إلى عبدالعزيز كي يؤكدوا له ولاءهم الذي حافظوا عليه بصدق خلال المعارك التي أعقبت هذه الأحداث.

= وانقطع لطلب العلم ولم يلتفت للسياسة، انظر : الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٣٤٩.

(١) الصواب : ضيدان بن حثلين، وهو زعيم قبيلة العجمان.

تمكن عبدالعزيز من صدّ قبيلتي حرب وعتيبة، أما قبيلة العجمان وحلفاؤها فقد شكلوا خطرًا كبيرًا عليه.

كان عبدالعزيز في تلك الأثناء يقيم مع أخيه سعد وكثير من أقربائه في منطقة الأحساء، وذلك لجباية الزكاة من عشائر العجمان التي أقامت معسكرًا لها بالقرب من مدينة الهفوف. وعندما بدأ بتقدير قطعانهم انتهز زعيمهم ضيدان بن حثلين وابن منيخر فرصة احتجاج أتباعهم على جباية الزكاة، فقاموا بقتل العديد من محاربي عبدالعزيز[1]، وتمكنوا من محاصرته في الهفوف بعد أن انضم إليهم كثير من أفراد قبيلة بني خالد ومن أهالي المنطقة.

لقد استطاع عبدالعزيز تحمّل ظروف محاصرته في قلعة الكوت بكثير من العناء، وحينما كاد عبدالعزيز وأتباعه يموتون جوعًا، جاءه المدّد[2] بجيش هاجم العجمان وحلفاءهم وانتصر عليهم، فأصبحت بذلك الهفوف وجميع منطقة الأحساء مرة أخرى تابعة للدولة السعودية منذ صيف ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) ، ولكن أخاه سعدًا وثمانية من أفراد الأسرة الحاكمة فقدوا حياتهم في الهفوف.

توفي جابر حاكم الكويت في عام ١٩١٦م[3]، وبُويع من بعده

(١) تعرف هذه المعركة باسم معركة كنزان، وقد وقعت في ١٥ شعبان ١٣٣٣هـ، وهي التي قتل فيها أخو الملك عبدالعزيز الأمير سعد بن عبدالرحمن رحمه الله، انظر: العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) هذا المدد كان قادمًا من الرياض بقيادة الأمير محمد بن عبدالرحمن.

(٣) الصحيح أن وفاة الشيخ جابر كانت في ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ، الموافق ٥ فبراير ١٩١٧م.

أخوه سالم، إلا أن الإنجليز حرضوا السكان ضده، وحاولوا تأييد أخيه ناصر.

اندلع العداء بين الشريف حسين والقوات العثمانية، فتحركت فيالق من جيش عبدالعزيز وقامت بشن عدد من الغارات في مناطق مكة، وكبدوا حلفاء الشريف خسائر فادحة، وجعلوا العديد من القبائل يعرضون عنه.

ويعد الهجوم المشترك الذي شنته القوات العثمانية ومواطنو عبدالعزيز على المناطق المحيطة بخيبر، تم في بداية صيف عام ١٩١٦م أول اتصال مباشر بين عبدالعزيز، وأحمد جمال باشا، قائد القوة العثمانية في سوريا، وعلى إثر ذلك تم إمداد القوات العثمانية بالجمال.

وفي نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) قدم إلى سوريا مندوبون عن عبدالعزيز، كي يتفاوضوا مع الموظفين العثمانيين في كثير من القضايا.

استرد عبدالعزيز أراضي قبيلة شمر في ربيع عام ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)[١]، أما الجزء الشمالي فكان من نصيب حاكم الجوف[٢]، وقد أدت الصداقة القوية بين عبدالعزيز وحاكم الجوف وحرصهما الشديد على

---

(١) يبدو أن المؤلف يقصد بقوله أراضي قبيلة شمر، تلك الأراضي المحيطة بحائل، أما مدينة حائل نفسها فلم يضمها الملك عبدالعزيز إلا في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ، الموافق ١ نوفمبر ١٩٢١م.

(٢) كان الجوف آنذاك خاضعًا لنوري الشعلان، الذي تمكن في بداية عام ١٣٢٦هـ من مد نفوذ على منطقة الجوف ونصب ابنه نواف حاكمًا عليها، انظر: عبدالرحمن السديري، الجوف - وادي النفاخ، ص ٦٨.

تطبيق النظام إلى استتباب الأمن من جديد في قلب جزيرة العرب، الأمر الذي أدى إلى ازدهار التجارة، فكانت القوافل التي يصل عددها إلى خمسمائة جمل وأكثر، تنقل البضائع من العقير والكويت إلى قلب جزيرة العرب، وحتى دمشق لتزويد السكان بالمواد الغذائية والملابس، وفي نهاية شهر أكتوبر ١٩١٧م (١٣٣٥هـ) وصلت إلى دمشق إحدى القوافل القادمة من الرياض من أجل مقايضة حمولتها من مواد خام مختلفة بالشاي والقهوة.

اليوم[١] يحكم عبدالعزيز في الرياض ونواف في الجوف[٢]، قلب جزيرة العرب كلها. وإذا كانت الحكومة العثمانية استطاعت - آنذاك - كسب صداقة عبدالعزيز وإمداده باستمرار بالأسلحة والذخيرة اللازمة، فإنها بذلك حافظت على نفوذها في نحو ثلثي شبه جزيرة العرب.

والآن يحكم عبدالعزيز البلاد باسم والده عبدالرحمن الذي ولد في عام ١٨٥٠م (١٢٦٧هـ)، ويبلغ عبدالعزيز من العمر نحو خمسين عامًا[٣]. وهو رجل مثقف وكثير الاطلاع، وأمين إلى أبعد الحدود، ومقدام، وتقيّ، وعاشق للاستقلال، كما يتسم بالتواضع، والكياسة، والقناعة، وسخاء غير محدود.

---

(١) أي سنة ١٩١٧م الموافق ١٣٣٥هـ، وهي السنة التي نشر فيها المؤلف هذا البحث.

(٢) توفي نواف بن نوري الشعلان في سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م، وخلال هذه الأثناء اتصل سكان الجوف بالملك عبدالعزيز وأبدوا له رغبتهم في الانضمام إليه، وفي سنة ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٢م أرسل الملك عبدالعزيز إلى الجوف حملة بقيادة عساف الحسين دخلت الجوف واستلمت إمارتها من سلطان بن نواف الشعلان، انظر: السديري، الجوف - وادي النفاخ، ص ٦٩.

(٣) الصحيح ان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - كان عمره آنذاك أربعين عامًا.

إن عبدالعزيز اليوم هو أعظم شخصية في جزيرة العرب المترامية الأطراف. ففي أوائل عام ١٩٠٢م (١٣١٩هـ)، أي قبل خمسة عشر عامًا؛ جاء إلى الرياض قادمًا من المهجر[1] ومعه قلة من المخلصين، لقد كان عبدالعزيز قادرًا على جمع جموع المحاربين من العدم، وها هو اليوم يحكم دولة تبلغ مساحتها أكثر من ١٥٠٠كم طولاً، و ١٠٠٠كم عرضًا - أي أن عرضها يساوي المسافة من فينّا إلى باريس.

لقد تمكن عبدالعزيز من إعادة الأمن والنظام، وبهذا الأسلوب كسب إخلاص شعبه، لا بل حبهم له، ويا سعادة أصدقائه، ويا شقاء أعدائه، هكذا يقول عنه العرب.

وبالإضافة إلى ازدهار الحياة في العديد من مناطق حكمه، فثمة قبائل مختلفة، يربو عددها على ثلاثين ألف بيت، يؤدون الخدمة العسكرية تحت حكمه، أي إن لديه جيشًا يبلغ قوامه أكثر من ثلاثين ألف جندي، ومثل هذا العدد على الأقل من السكان الذين يدفعون لدولته الزكاة.

اتخذ عبدالعزيز الرياض مقرًا رسميًا لدولته، وهي مدينة تحتوي على نحو ألف وخمسمائة منزل، ومحاطة ببساتين النخيل الواسعة. وفضلاً عن الرياض، فقد تمت بفضل رعايته إعادة بناء أغلب المناطق وتحصينها من جديد، كما تمت إعادة الخُضرة إلى الحقول القديمة، وزرعت بساتينها من جديد، بل إنه جلب الحرفيين المتخصصين لتطهير الطرق من أعمال السلب والنهب، ولرفع مستوى المعيشة في البلاد.

(١) الإشارة هنا إلى إقامة الملك عبدالعزيز في الكويت، وقد كان خروجه منها لاسترداد الرياض في سنة ١٣١٩هـ.

ظلت قوات عبدالعزيز مرابطة في أماكن مختلفة، وأوعز لهم بألا يطلبوا من الأهالي شيئًا، فمسؤوليتهم تنحصر في الحفاظ على الأمن وعدم الإخلال به. أما ابنه تركي[1] فقد أخذ يجوب البلاد نيابة عن والده ويتفقد أحوالها.

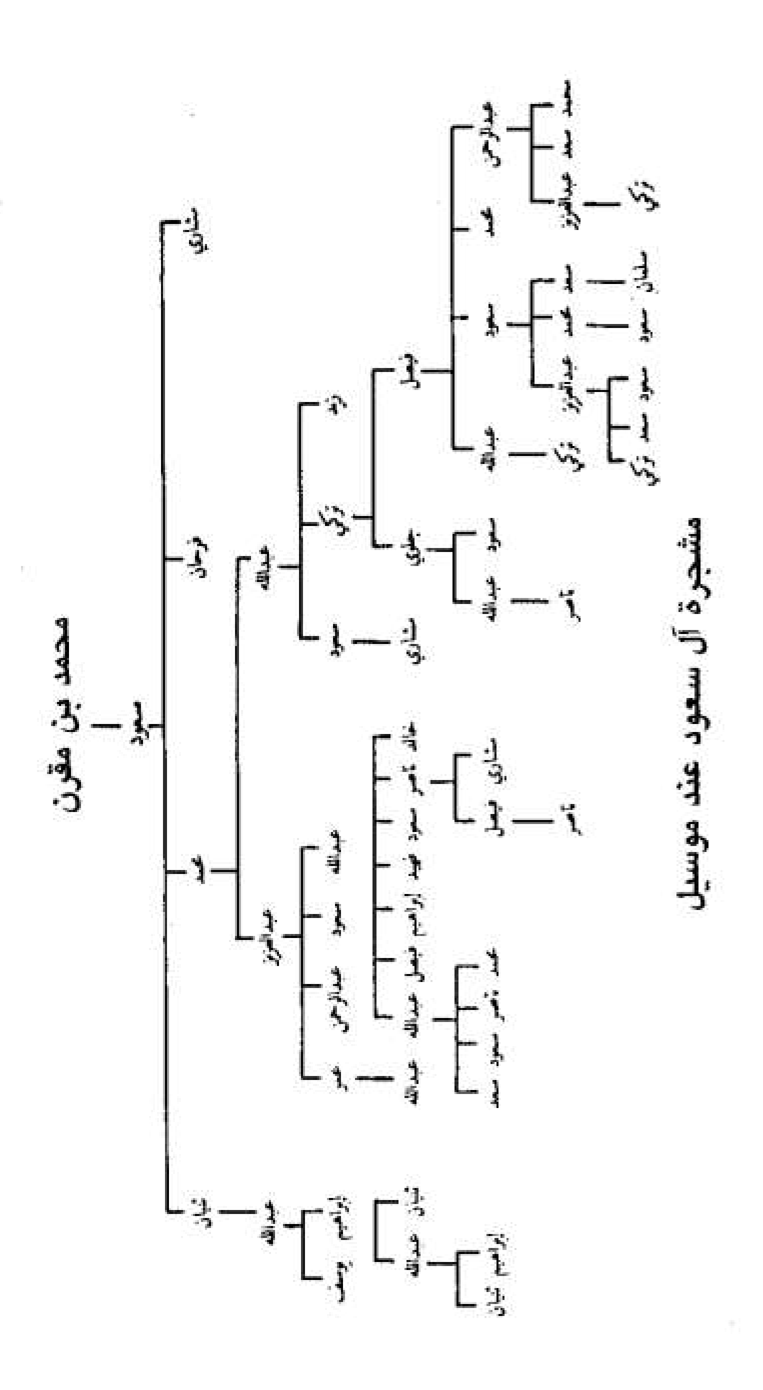
لقد أصدر عبدالعزيز أوامره التي تنص على القيام بتعليم الأطفال في كل مكان وعلى نحو مستمر. إن الأمل يحدوه في أن يتمكن - على الأقل الصبية - من تعلُّم القراءة والكتابة.

إن عبدالعزيز حريص كل الحرص على المواظبة على إقامة الشعائر الدينية، بعيدًا عن التعصب والغلو فهو يرى « إن الدين والعقيدة شيئان كامنان داخل الإنسان، يملآن قلبه بالرضى والاطمئنان، وليسا أداةً تُستغل في تفجير شهواته».

(١) الأمير تركي هو أكبر أبناء الملك عبدالعزيز وبه يكنى، مات - يرحمه الله - سنة ١٣٣٧هـ، أي في السنة المعروفة في نجد باسم سنة الرحمة.



خريطة موسيل للجزيرة العربية



مشجرة آل سعود عند موسيل

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

فهرس الشعوب والقبائل والأسر

فهرس الأماكن

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الدول

فهرس الصور والأشكال والخرائط

مراجع الترجمة

المراجع العربية:

- الأحسائي، محمد بن عبدالله، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ج ١-٢ الرياض ١٤١٩هـ.
- الأطلس التاريخي، للمملكة العربية السعودية ط٢، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٢هـ.
- أطلس المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي، الرياض ١٤١٩هـ.
- أويتنج، يوليوس، رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمة: سعيد بن فايز السعيد، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ.
- البادي، عوض، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥ - ١٩٢٢م، الرياض ١٤٢٣هـ.
- بخيت، حميد بن محمد بن زريق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق: عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، ط ٥، مسقط ١٤٢٢هـ.
- البسام، عبدالله بن عبدالرحمن ، علماء نجد خلال ستة قرون، ط١، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ.
- ابن بشر، عثمان بن عبدالله، سوابق عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالله بن محمد المنيف، الرياض ١٤٢٣هـ.
- ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١-٢، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢/١٤٠٣هـ.

- الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (المنطقة الشرقية)، الرياض ١٤٠٠هـ.
- ابن جنيدل، سعد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، الرياض د. ت.
- ديديه، شارل، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٥٤)، ترجمة: محمد خير البقاعي، الرياض ١٤٢٢هـ.
- الرشيد، ضاري، نبذة تاريخية عن نجد، تقديم وتحقيق: عبدالله العثيمين، الرياض ١٤١٩هـ.
- الريحاني ، أمين، نجد وملحقاته ، ط٥، الرياض ١٩٨١م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٧، بيروت ١٩٨٦م.
- سادليرج، فورستر، رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م، ترجمة: أنس الرفاعي، تحقيق: سعود بن غانم العجمي،الكويت ١٤٠٣هـ
- السديري، عبدالرحمن بن أحمد، الجوف - وادي النفاخ، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، د. ت.
- السكاكر، محمد بن عبدالله، الإمام محمد بن عبدالوهاب حياته، آثاره، دعوته السلفية، الرياض ١٤١٩هـ.
- الشملان، سيف مرزوق، من تاريخ الكويت، ط٣، الكويت ١٤٠٦هـ.
- الطريق إلى الرياض، دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ/ ١٩٠١-١٩٠٢م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.
- العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، ط٢، ١٤١٠هـ.

- العثيمين، عبدالله الصالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١-٢، الرياض ١٤١٩هـ.
- أبو علية، عبدالفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية، ط٥، الرياض ١٤١٥هـ.
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقع في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ، الرياض ١٤١٩هـ.
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، عقد الدرر، فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، الرياض ١٤١٩هـ.
- ابن غنام، حسين، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، القاهرة ١٣٦٨هـ
- الفاخري، محمد بن عمر، تاريخ الفاخري، تحقيق: عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض ١٤١٩هـ.
- الفرج، خالد، الخبر والعيان في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، الرياض ١٤٢١هـ.
- فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة : عمر لطفي العالم، دمشق ١٤١٧هـ.
- ليبنز، فيليب، رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، ترجمة: محمد الحناش، راجعها وعلق عليها وحقق المواضع: فهد بن عبداله السماري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤١٩هـ.

- موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض ١٤١٩هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجلد ١-٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، الرياض ١٤٢٠هـ.
- موسيل، ألويس، أخلاق الرولة وعاداتهم، ترجمة: محمد بن سليمان السديس، الرياض ١٤١٤هـ.
- هورخرونيه، سنوك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج ١-٢، ترجمة: علي عودة الشيوخ وآخرون، الرياض ١٤١٩هـ.
- الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله المنيف، بنو خالد وعلاقاتهم بنجد (١٠٨٠ - ١٢٠٨هـ/١٦٦٩-١٧٧٤م)، الرياض ١٤١٠هـ.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت ١٤١٠هـ.

المراجع غير العربية:

- Bauer, K., Alois Musil, Wahrheitssucher in der Wüste, (Perspektiven der Wissenschaftsgeschichte, Band 5), Köln 1989.
- Dostal, W., Austria and the Exploration of Arabian Peninsula in the 19th century - A critical study,

بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ.

- Musil,A., Kusejr Amra, Band 1, Text mit einer Karte von Arabia Petraea, Wien 1907.
- Musel, A., Syrien in der Weltgeschichte, ÖMfdo (1914), p. 28-30.
- Pfullmann, U., Durch Wüste und Steppe, Entdeckerlexikon arabische Halbinsel, Biographien und Berichte, Berlin 2001.

فهرس المحتويات